الفصل الرابع

تسميم العقل العالمي

شعار الإبادة عند اليهود

لقد انطلقت فكرة الإبادة كشعار تهديد وفعل من قبل اليهود أنفسهم مع بداية الحرب العالمية الثانية. وظلّت تلك الفكرة تتبلور في أذهان اليهود حتىٰ اتهموا النازيين بفعلها في نهاية المطاف.

ولم تكن الإبادة بدعة نازية بل كانت أداءً غربيّاً عامّاً تورط فيه اليهود أنفسهم ونظّروا له من قبل. وهو ما رأيناه في فكر وسلوك الحلفاء ومن خلفهم المنظمات اليهودية الضاغطة الذين قاموا بمحاكمة النازيين وتصفيتهم بعد الحرب!

فأرنست همنجواي، الكاتب الأمريكي، كان يُطالب بتعقيم الألمان بشكل جماعي للقضاء علىٰ العنصر الألماني.

وفي عام 1940 قال تشرشل إنه ينوي تجويع ألمانيا وتدمير المدن الألمانية وحرقها وحرق غاباتها.

وقد عبَّر الكاتب الصهيوني كليفتون فاديمان عن هذا الموقف الإبادي بشكل متبلور. ولم يكن فاديمان هذا شخصية ثانوية في المؤسسة الثقافية الأمريكية فقد كان محرر مجلة النيو يوركر الأمريكية ورئيس إحدىٰ الوكالات الأدبية التي أنشأتها الحكومة الأمريكية إبَّان الحرب بغرض الحرب النفسية. وقد شنّ حملة كراهية ضارية ضد الألمان وجعل الهدف منها إضرام الكراهية لا ضد القيادة النازية وحسب، وإنما ضد الألمان ككل. وكتب يقول:

- إن الطريقة الوحيدة لأن يفهم الألمان ما نقول هو قتلهم... فالعدوان النازي لاتقوم به عصابة صغيرة... وإنما هو التعبير النهائي عن أعمق غرائز الشعب الألماني، فهتلر هو تَجسُّد لقوىٰ أكبر منه، والهرطقة التي ينادي بها هتلر عمرها 2000 عام .

ومن مقال فاديمان نكتشف بأن دعاية الإبادة كانت قد انتشرت عند الحلفاء قبل أن يتهم الألمان بها. وهذا يعني أنها كانت جاهزة ومجتمعة في الذهن اليهودي والغربي. وعندما انهزم الألمان استطاع اليهود بمساعدة الحلفاء أن ينزلوها بالألمان بسهولة وبسرعة لأنها كانت مجتمعة وجاهزة.

وأن تلك الأسطورة كانت قائمة كحقيقة وكمبدأ في الذهن الغربي بل وكان يجري تنفيذها في جبهات القتال يومياً كما هو معروف. وقد اشترك بعض الزعماء الصهاينة في هذه الحملة، فصرح فلاديمير جابوتنسكي عام 1934 وقال: **إن مصلحة اليهود تتطلب الإبادة النهائية لألمانيا، فالشعب الألماني بأسره يُشكِّل تهديداً لنا .**

ولكن يمكن القول بأن كتاب الكاتب الأمريكي **اليهودي تيودور كاوفمان** بعنوان **لابد من إبادة ألمانيا** هو من أهم الكتب المحرضة علىٰ الإبادة، وقد استفادت منه آلة الدعاية النازية وبيَّنت أبعاد المؤامرة الإبادية ضد الألمان، وقد ورد في هذا الكتاب أن كل الألمان، مهما كان توجههم السياسي (حتىٰ لو كانوا معادين للنازية، أو شيوعيين، أو حتىٰ محبين لليهود) لا يستحقون الحياة، ولذا لابد من تجنيد آلاف الأطباء بعد الحرب ليقوموا بتعقيمهم حتىٰ يتسنىٰ إبادة الجنس الألماني تماماً خلال ستين عاماً !

وكان هناك حديث متواتر عن ضرورة هدم ألمانيا، وعن تحويل ألمانيا إلىٰبلد رعوي، أي هدم كل صناعاتها ومؤسساتها الحديثة.

إبادة الألمان

وبناء علىٰ تلك الشعارات مارس الغرب إبادة حقيقية للألمان ونجحت غارات

الحلفاء علىٰ المدن الألمانية في إبادة مئات الألوف من المدنيين (من الرجال والأطفال والنساء والعجائز) وتحطيم كل أشكال الحضارة والحياة. وقد بلغ عدد ضحايا الغارات علىٰ مدينة درسدن الألمانية وحدها 200 ألف قتيل. كما استمرت النزعة الإبادية بعد الحرب،فقامت قوات الحلفاء بوضع مئات الألوف من الجنود الألمان في معسكرات اعتقال وتم إهمالهم عن عمد، فتم تصنيفهم علىٰ أساس أنهم DEFS وهي اختصار عبارة قوات معادية تم نزع سلاحها بدلاً من تصنيفهم أسرىٰ حرب . وإعادة التصنيف هذه كانت تعني في واقع الأمر حرمانهم من المعاملة الإنسانية التي تنص عليها اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرىٰ الحرب، وبالفعل قضىٰ 239.793 جندياً ألمانياً نحبهم في معسكرات الاعتقال الأمريكية عام 1945،كما قضىٰ 167 ألفاً نحبهم في معسكرات الاعتقال الفرنسية نتيجةً للجوع والمرض والأحوال الصحية السيئة، حسبما جاء في دراسة لجيمس باك ، وفي الوقت ذاته كان يوجد 13.5 مليون طرد طعام في مخازن الصليب الأحمر،تعمدت سلطات الحلفاء عدم توزيعها عليهم .

ولم تقتصر الإبادة علىٰ التصفية الجسدية بل كانت هناك إبادة ثقافية، فقد قام الحلفاء بما سُمِّي عملية نزع الصبغة النازية عن ألمانيا Denazification وبواسطتها تمت إبادة النازيين المستسلمين. فأُقيمت 545 محكمة دائمة علىٰ الأقل يتبعها طاقم من الفنيين والسكرتارية عددهم اثنان وعشرون ألفاً. وقام الأمريكيون بتغطية ثلاثة عشر مليون حالة (أي معظم الذكور الألمان البالغين)، وتم توجيه الاتهام إلىٰ ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف، أُجريت لهم محاكمات عاجلة. وأدين تسعمائة وثلاثون ألفاً منهم، وصدرت أحكام بشأنهم من بينها 282.169 حكماً بتهمة ارتكاب جرائم نازية لا مجرد التعاون مع النظام النازي. وأصدر البريطانيون 22.296 حكماً والفرنسيون 17.353 حكماً، والروس ثمانية عشر ألف حكم .وبحلول عام 1945، كان قد تم طرد 141 ألف ألماني من وظائفهم، من بينهم معظم المدرّسين في منطقة الاحتلال الأمريكية، وزُج بعدد أكبر من هؤلاء في السجون.

ومن هنا ندرك سبب خشية المواطن الغربي حتىٰ اليوم من البحث أو الخوض في أمور المسألة الصهيونية أو اليهودية أو مسألة إبادة اليهود المزعومة.

ومن الأرقام الدقيقة السابقة يتضّح لنا أن الألمان هم الذين تعرّضوا للإبادة الحقيقية علىٰ أيدي الحلفاء واليهود. ولطيّ صفحات تلك الجرائم الإبادية، بل وللاستفادة من أكبر جريمة مارسوها ضد الإنسانية انطلقت أكذوبة إبادة اليهود، ودافع الغرب عنها لأنهم أيضاً يريدون إخفاء جرائمهم الإنسانية التي ارتكبوها.

وتظهر نفس النزعة الإبادية في تعامل الحلفاء مع اليابان، فقبل اكتشاف القنبلة الذرية، كان الجنرال الأمريكي كورتيس لي ماي يقوم بتحطيم مدن اليابان الواحدة تلو الأخرىٰ بشكل منهجي لم يسبق له مثيل في التاريخ. فخلال عشرة أيام في مارس 1945، قامت الطائرات الأمريكية بطلعات جوية بلغ عددها 11.600، تم خلالها إغراق 32 ميلاً مربعاً من أكبر أربع مدن يابانية بالقنابل، وهو ما أدّىٰ إلىٰ محو هذه المساحات وكل ما عليها من الوجود وتسببت في مقتل150.000. أما الغارات الجوية علىٰ طوكيو يوم 25 مايو 1945، فتسببت في اندلاع عاصفة نارية ضخمة حتىٰ أن قائدي الطائرات المقاتلة كانوا يشمون رائحة لحم البشر المحترق وهم علىٰ ارتفاع آلاف الأقدام. وأدّت هذه الغارات إلىٰ مقتل الآلاف وتشريد مليون شخص علىٰ الأقل .

وكانت عملية الإبادة من الشمول لدرجة أن الجنرال جروفز المسؤول عن مشروع مانهاتن لإنتاج القنبلة النووية كان « يخشىٰ» ألا يجد أي هدف سليم يمكن أن يُلقي عليه بقنابله ويدمره. ورغم أن الولايات المتحدة كانت تعرف أن اليابانيين كانوا قد بدأوا يفكرون بشكل جاد في إنهاء الحرب، فقد رأىٰ الجنرال جروفز ضرورة استخدام القنبلة مهما كان الأمر بعد أن تم إنفاق 2 بليون دولار في تطويرها.

وكان لابد من إلقاء القنبلة الذرية بغض النظر عن عدد الضحايا أو حجم التدمير. وكان الجنرال جروفز « محظوظاً » (كما تقول بعض الدراسات) إذ وجد ضالته المنشودة في هيروشيما التي كان يقطنها 280 ألف نسمة ووجد أنها محاطة بتلال

يمكن أن تُحوِّل المدينة إلىٰ جهنم حقيقية بعد الانفجار إذ أنها ستركز الحرارة. وبالفعل قُتل فور وقوع الانفجار 70 ألف مدني ومات 130 ألفاً آخرين بعد عدة شهور متأثرين بحروقهم من الإشعاع. وكأن هيروشيما لم تكن كافية، فأُلقيت قنبلة أخرىٰ علىٰ ناجازاكي، أدَّت هي الأخرىٰ إلىٰ مقتل 70 ألفاً آخرين، غير مئات الألوف الآخرىٰ الذين لقوا مصرعهم فيما بعد. فما بين ألمانيا واليابان تم إبادة وإصابة حوالي مليوني شخص معظمهم من المدنيين .

كما يجب أن نتذكر عمليات الإبادة التي قام بها النظام الستاليني ضد الشعوب الإسلامية في الخانات التركية (التي أصبحت فيما بعد الجمهوريات السوفييتية الإسلامية). وكان عدد شعب التتار وحده يساوي عدد سكان روسيا، أما الآن فهو لا يُكوِّن سوىٰ نسبة مئوية ضئيلة، وكانت الإبادة تأخذ أشكالاً مختلفة مثل الإعدام والعمل في معسكرات السخرة. وقد بلغ عدد الضحايا 50 مليوناً! وبعد حوالي نصف قرن عرف العالم عمليات الإبادة والتطهير العرْقي في البوسنة والهرسك والشيشان وفلسطين والعراق وأفغانستان، وقد جاءت كلها علىٰ أيدي الغرب نفسه. كانت إبادة الآخر آلية أساسية استخدمها التشكيل الإمبريالي الغربي واليهودي في تحقيق رؤيته ومثالياته الداروينية ذات الطابع التوراتي والصهيوني. واستمرت قائمة في الذهن الغربي حتىٰ يومنا هذا. وعلىٰ هذا يكون ذكرىٰ الإبادة هو في حقيقته ذكرىٰ إعلان مبدأ الإبادة والاعتماد عليه في العقل والمبدأ الغربي. وهو ذكرىٰ حادثة التحول المعلن من تبني القيم الإنسانية إلىٰ تبني القيم الإبادية عند الغرب كله.

النازيـــة المتأثرة باليهودية

لنتعرف علىٰ النازية وظروف ظهورها، لنتمكن من مقارنتها بالصهيونية. وكلمة «نازي» مأخوذة بالاختصار والتصرف من العبارة الألمانية National Sozialistische Deutsche Arbeiter partei (NSDAP) وهي حركة عرْقية داروينية شمولية تحمل أفكاراً ومبادئ يهودية وأخرىٰ متأثرة باليهودية، قادها هتلر وهيْمنت علىٰ مقاليد

الحكم في ألمانيا، وعلىٰ المجتمع الألماني بأسره.

والحركة النازية هي حركة سياسية وفكرية في الوقت نفسه، ضمن حركات سياسية فكرية أخرىٰ تحمل السمات نفسها، ظهرت داخل التشكيل الحضاري الغربي بعد الحرب العالمية الأولىٰ.

وقد أحدث هتلر العديد من القرارات الحكومية الثورية الجديدة ومن بينها الخدمة العسكرية العامة التي أصبحت إجبارية وأُخضعت ألمانيا كلها لنظام مركزي قوي. وأُلغي استقلال الولايات، وأُخضعت لهيمنة الفوهرر وأجهزته مباشرة،وقد أسس الحزب كنيسة ألمانية بهدف السيطرة علىٰ الكنائس البروتستانتية. وقام هتلر بمحاولات عديدة للسيطرة علىٰ القرار اليهودي فتعاون مع جماعات وأحزاب صهيونية وساندها لتسيطر علىٰ كافة النشاطات والحركات الصهيونية الألمانية. ومنح المنظمات المتعاملة معه ميزات وصلاحيات لم يعرفها اليهود منذ آلاف السنين. بل إن تلك التنظيمات استفادت من مساحة العمل والنشاط الممنوحة لها وسخّرتها لمخطط يهودي آخر يهدف إلىٰ إقامة دولة إسرائيل. وبالفعل فإن قادة الصهيونية الألمانية هم أنفسهم الذين أنشأوا فيما بعد دولة الكيان العنصري مستفيدين من خبرات هتلر والنازية وبدأ هتلر في تنفيذ مخططه الإمبريالي في الداخل والخارج صدوراً عن الرؤية النازية للعالم التي استمدت ملامحها الأساسية من الحضارة الغربية الحديثة آنذاك، وكانت السمة الأساسية للمنظومة النازية هي علمانيتها الشاملة وواحديتها المادية الصارمة. وقد هاجم ألفريد روزنبرج أهم الفلاسفة النازيين المسيحية باعتبارها عقيدة يهودية تدافع عن المطلقات. وفي كتابه أسطورة القرن العشرين حاول أن يُبيِّن بعض الأطروحات الأساسية للنازية، فالروح والعرْق هما شيء واحد، ويعبّر كلاهما عن الآخر. والروح العرْقية هي التي تحرك التاريخ. بل إن روزنبرج كان مدركاً للحلولية كنمط نهائي، إذ يؤكد أن الروح الألمانية تُعبِّر عن انتصار فكرة الحرية وعن التصوف الحقيقي، ويجب أن تُفهم تلك الصوفية باعتبارها تزايد حرية الروح إلىٰ أن

تصل إلىٰ المرحلة التي تتحرر فيها تماماً من الإله نفسه. وكان روزنبرج، انطلاقاً من عقيدته العرْقية هذه، يعطي مواعظ نارية عن أسطورة الدم الألماني مستفيداً من عقيدة الدم والعرق عند اليهود.

وعقد هتلر اتفاقاً مع الكنيسة الكاثوليكية غير أنه لم يلتزم به . وقد أسس هتلر "كنيسة" ألمانية بهدف السيطرة علىٰ الكنائس البروتستانتية، وتطهير فكرة القومية الألمانية من العناصر المسيحية المعادية، وكان الالتحاق بهذه الكنيسة القومية ـ ومن ثم الانفصال عن المنظومة المسيحية ـ شرطاً أساسياً للانضمام إلىٰ فرق الحرس الخاص المعروفة بالإس. إس. وتتضح مادية النازيين الصارمة في إنكارهم للطبيعة البشرية وثباتها وقد آمن النازيون بفكرة الدولة باعتبارها مطلقاً علمانياً متجاوزاً للخير والشر. وحدَّد هتلر المطلق الأول والأوحد (الدولة) كما تبنت النازية النظرية العرْقية الداروينية الغربية، وأكدت علىٰ التفوق العرْقي للشعب الألماني علىٰ كل شعوب أوربا، وتفوق شعوب أوربا علىٰ كل شعوب العالم. ورفض هتلر فكرة المساواة بين البشر باعتبارها فكرة دينية واعتبرها حيلة يهودية مسيحية وقال :

"إنها نوع من التنويم المغناطيسي تمارسه اليهودية الغازية للعالم بمساعدة الكنائس المسيحية"

ومن الأفكار الأساسية في الفكر النازي فكرة الشعب العضوي الذي تُوجَد وحدة عضوية بين أعضائه من جهة، وبين حضارتهم والأرض التي يعيشون عليها من جهة أخرىٰ، ومن العبارات المتواترة في الخطاب النازي عبارة الدم والتربة Blut und Boden، وهي من الشعارات الأساسية للنازية والمرتبطة بفكرة الشعب العضوي. وهذه العبارة نيتشوية فلسفياً وتوراتية في أصولها ورأت العقيدة النازية أن هذا الهرم الألماني المنظم، لابد أن يسيطر علىٰ العالم بأسره في آخر المطاف.

وانطلاقاً من كل هذا وُضعت ألمانيا فوق الجميع وأصبح للألمان حقوق مطلقة.

ولم يكن اليهود هدفاً حقيقياً للنازيين. بل كان المشروع النازي يتعدّاهم كثيراً

ولا يكترث بهم. ولم يعتبرهم حجر عثرة في أي وقت من الأوقات، إذ كان بالإمكان التخلص منهم في ليلة وضحاها. وكانت ماكينة الحرب النازية القوية قادرة على محو اليهود من كافة مناطق النفوذ الألماني في وقت قصير للغاية. ويثبت ذلك أعمال الألمان الحربية الواسعة التي كانت تقتل عشرات الآلاف من جنود الحلفاء في أوقات قليلة.

وكانت هذه الرؤيةُ النازية العلمية النفعية المحايدة أخلاقياً تخبئ ضمناً الرؤيةَ الداروينية النيتشوية ذات الأصول الصهيونية.، بتأكيدها على فكرة البقاء باعتباره القيمة المطلقة والصراع باعتباره الآلية الوحيدة للبقاء، وهي عملية مادية محضة. فالبقاء هو البقاء المادي، والصراع هو صراع مادي. وبالنظر إلى الأيديولوجيات السابقة التي تبنتها النازية نكتشف بأن الصهيونية الألمانية التي عرّفت عن منهجها بوضوح بعد انتهاء الحرب وقيام دولة إسرائيل كانت تحمل عناصر فكرية وفلسفية مشابهة تماماً للمذهب وللرؤية النازية. ولا نقول بأن اليهودية جاءت نسخة عن النازية بل إن النازية والصهيونية بشكلها الناضج تكونتا معاً في ظروف مناخية واحدة وأثناء ذلك تأثرت كل واحدة بالأخرى، وبالوقت نفسه فقد كانت النازية تحمل عقائد الدم والعنصرية والقومية، وهي عقائد يهودية وقد نادى بها صهاينة ألمانيا قبل أن يظهر هتلر بعشرات السنين.

وضمن هذا المشروع الكبير تحرَّك هتلر لتنفيذ خطته الواسعة، وكانت من بينها خطوات نازية خاصة باليهود عرفت بمشروع الحل النهائي للقضية اليهودية، وسنستعرضها حسب تسلسلها الزمني:

- بتاريخ 28 أكتوبر 1938 قام هتلر بشحن عشرة آلاف يهودي وأرسلهم إلى بولندا ، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم فبولندا هي الأخرى كانت تود الدفاع عن مصالحها المادية كدولة ذات سيادة ، وكانت تسعى للتخلص من اليهود المقيمين على أراضيها. ثم إن الحركة الصهيونية نفسها كانت تعارض باستمرار نقل اليهود من نطاق النفوذ الألماني إلى داخل أوروبا، وكانت تبرر تلك المطالب بضرورة أن يتم النقل مباشرة إلى أرض فلسطين وإلّا فلا.

- اعتمد النازيون مشروعاً للتخلص من اليهود وأطلق عليه اسم (الحل النهائي) ومن خلاله استمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهود حتىٰ نهاية الحكم النازي. فبُذلت المحاولة تلو الأخرىٰ لتوطينهم في سورية وإكوادور وتم تشجيعهم علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين. وكان هناك مشروع صهيوني نازي يُسمَّىٰ «مشروع مدغشقر» يهدف إلىٰ تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيرة الأفريقية. ولكن معظم هذه المشروعات الألمانية فشلت. ولم تُطرح بدائل أخرىٰ، فالمجال الاستعماري الحيوي لألمانيا، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولىٰ، كان محدوداً.

وبالوقت نفسه لم تكن الدول الغربية كلها ترحّب هي الأخرىٰ بالمهاجرين اليهود. ولأنّ الحل النهائي البلفوري لم يكن متاحاً لهتلر آنذاك، ولذا لم يكن أمامه سوىٰ استبعاد اليهود بطريقة غير بلفورية، فقد لجأ إلىٰ تجميعهم في معسكرات العمل والسخرة وفي مستوطنات مستقلة وتتمتع بحكم ذاتي بغية نقلهم إلىٰ موطن بعيد عن أوروبا عندما تسمح الظروف لذلك. وكانت الجماعات الصهيونية راضية عن هذا المشروع بل وكانت هي التي تساهم مع الجنود الألمان في تجميع اليهود، وفي نقلهم بالقطارات إلىٰ معسكرات السخرة والمستوطنات.

لقد اجتمعت في تلك السنوات المصالح الثلاث للكيانات الثلاث المتباينة، والتي أجمعت رغم تباينها علىٰ أمر واحد وهو تهجير اليهود عن أوروبا كلها والتخلص منهم نهائياً.

فالمنظمة الصهيونية كانت لا تسعىٰ إلّا لتحقيق ذلك ولا تحضّر إلّا له، ولا تطالب إلّا به. وحكّام دول الحلفاء الغربيين كلّهم بما فيهم الولايات المتحدة كانوا يسعون للتخلص من يهود أوروبا نهائياً، ومن مشكلات إقامتهم فيها وعدم تعايشهم مع الأوروبيين المسيحيين وهتلر.

تحالف اليهود مع النازية

أولاً : وثائق هتلر

نشرت صحيفة التايمز (36) تحقيقاً للدكتورة هامن المتخصصة بأبحاث الهولوكوست جاء فيه: بحثت هامن في الأوراق المدرسية لهتلر فاكتشفت بأنه كان معجباً بأستاذه اليهودي، وأن ملاحظات أستاذه كانت تثني علىٰ التلميذ هتلر ، وكان لهتلر كثير من أصدقاء المدرسة اليهود. ولم يكن في طفولته ونشأته يحمل لهم عداء يذكر. وفي نشأته كان يعجب بالممثلات اليهوديات ، وكان يصادق طبيب أمه اليهودي ويرسل له بطاقات الأعياد. وكانت والدة هتلر يهودية وعلىٰ هذا فيكون هتلر نفسه نصف يهودي أو يهودياً كاملاً. وفي سنوات شبابه أصيب بمرض السيفليس نتيجة اتصاله بعاهرة يهودية. وأخيراً يعلّق مذيع التلفزيون السوري متسائلاً : هل سيعتدي اليهود علىٰ هامن مثلما اعتدوا علىٰ غارودي وغيره؟.

ثانياً : العرقية اليهودية أنهضت العرقية الألمانية

وصف القرآن الكريم العرقية والعنصرية التي يحملها اليهود تجاه الشعوب الأخرىٰ ، إذ يعتبرون كل الآخرين من غير اليهود أمّيين أي جاهلين ومتخلفين، وفي العصور القريبة وعصرنا هذا يستخدم اليهود كلمة الغويم للتعبير عن غير اليهود.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة آل عمران:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران 3/ 75].

يعتقد الكثير من الباحثين والمؤرخين ، وأتباع مدرسة المراجعة التاريخية بأن العرقية الألمانية هي التي أيقظت العرقية اليهودية. ويقول إيمانويل راتيه في كتابه محاربو إسرائيل:

"بعد الحرب العالمية الأولىٰ ، وبعدما اتضحت معالم العرقية الألمانية كعنصر وعرق ولغة، تأثرت اليهودية بها سياسياً وتعاظمت العرقية اليهودية بصفتها تحمل ملامح مشابهة لتلك، ويمكن تسميتها بالنازية اليهودية، ومن ألمانيا امتدت فكرة العرقية اليهودية في بادئ الأمر إلىٰ أوروبا الشرقية، وتولّدت فكرة الإيديولوجية الصهيونية كحركة عالمية فعّالة ولاشك في أن تأثير النزعة العسكرية البروسية وعاطفة الوطنية التي برزت في الحرب الأولىٰ والمفهوم الألماني للدم والأرض .. كل ذلك جعل الصهيونية الألمانية نسخة مطابقة للأيديولوجيا القومية الألمانية."(39)

لكننا نرىٰ الأمور بطريقة عكسية تماماً، فرغم أن الباحث الفرنسي الكبير إيمانويل راتيه معاد للصهيونية ويبحث عن خفاياها فقد فاته بأن العرقية اليهودية عمرها بضعة آلاف من السنوات. وأنّ اليهود يحملون مفهوم العرقية ويعملون به منذ عصور الأنبياء والمرسلين. وإن كافة قصص اليهود التي ذكرت في القرآن الكريم تتحدث عن أعمال وأفعال وتصرفات وأقوال ومواقف يهودية تتصف بالعرقية والعنصرية.

ومادام اليهود المعاصرون يتخذون من كتب العهد القديم كتاباً مقدساً فمنه نقول: بأن قصصه وأحداثه وكل تلك الأعمال والأفعال والأقوال والمواقف التي قام بها اليهود تحمل طابع العرقية والعنصرية وكره الآخر.

وفي العصور الوسطىٰ الأوروبية عرفت العرقية اليهودية ووصفها كثير من المفكرين والأدباء والمؤرخين.ومن بينهم شيكسبير الذي انتقدها في مسرحية تاجر البندقية وفي مسرحيات أخرىٰ.

وفي ألمانيا النازية نشطت المنظمات اليهودية في عهد هتلر، وبتلك النشاطات أذيعت برامجها ومناهجها العنصرية، فاطّلعت عليها كافة الأوساط الألمانية ومن هنا تولّدت أفكار ومناهج العرقية الألمانية.

وان ما أخذته الصهيونية عن الأوساط الألمانية تمثّل في الجانب السياسي والتنظيمي وجوانب تتعلق بالشكل وبأسلوب العمل فحسب. لكن ما تحويه الديانة

اليهودية من عنصرية وعرقية وأحقاد دائمة ضد الأخر كلّ تلك التفاصيل أضافتها الصهيونية إلىٰ عنصريتها في ذلك الوقت لأنها امتلكت جانباً كبيراً من الحرية، وأصبحت أكثر تطرفاً ووحشية من النازية التي اشتهرت بالعنصرية. ولأن العرقية الألمانية قامت في زمنها علىٰ أسس ضعيفة فقد زالت وانتهت، وفي الوقت نفسه فإن العرقية اليهودية استطاعت أن تطور نفسها وتقيم عرقية صهيونية عنصرية جديدة علىٰ أساسين اثنين وهما :

1. العرقية اليهودية الدينية الموثّقة في كتب العهد القديم وفي الذاكرة اليهودية وفي الدم اليهودي نفسه.
2. الاستفادة من الظروف السياسية الحديثة التي بدأت في الحرب العالمية الأولىٰ وانقسام العالم كله إلىٰ معسكرين، ثم انهزام ألمانيا النازية.

ونتج عن تلك العرقية ونشاطاتها العنصرية قيام دولة وكيان علىٰ أسس عنصرية (يهودية) وإن العرقية الصهيونية الحديثة التي امتزجت أفكارها ومبادئها بالعقيدة اليهودية مازالت قائمة منذ حوالي قرن من الزمن. ولأنها عمّرت أكثر من العرقية النازية فهذا دليل علىٰ أنها كانت أقدم منها.

والعرقية اليهودية هي سمّ زعاف تسمم به العقل اليهودي، وهي بليّة ابتلىٰ بها اليهود، وهي أيضاً تخلف حضاري وتخلف فكري واجتماعي. وهي بلا شك أداء سلوك مرضي عند اليهود.

وإن طبيعة الديانة اليهودية التي تحمل عنصرية عرقية ودموية ودينية، وتحمل أيضاً عداء وكرهاً للغير، كل ذلك ساهم من ناحية تكوين العقل اليهودي في تضخم مبدأ العرقية الصهيونية الحديثة.

ويذكر بأن العرقية اليهودية ثابتة في الدم اليهودي مادام هناك يهودي، وإنه لمن المحتمل وليس من المؤكد بأن اليهودي إذا تحول عن دينه وآمن بديانة الإسلام أو بالديانة المسيحية فمن المحتمل أن يفتقد العنصرية اليهودية، وليس ذلك مؤكداً.

وفي القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالىٰ العرقية اليهودية فيقول في الآية التالية:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران 3/ 75].

ومن المعروف بأن الحركة الصهيونية الألمانية احتلت في العشرينات من القرن الماضي المكان الأول من الحركات الصهيونية العالمية. فقد كانت الحركات الصهيونية الألمانية هي الأقوىٰ والأكثر نفوذاً والأقدر علىٰ رسم مستقبل اليهود والتحكم بمصيرهم. وإن تلك الجماعات اليهودية الألمانية هي التي بدأت ترسل من ألمانيا سفن اليهود إلىٰ فلسطين قبل أن يحصل اليهود علىٰ وعد بلفور الشهير، وقبل أن توافق بريطانيا علىٰ تهجير اليهود.

ثالثاً : النشاطات الصهيونية في ألمانيا

أنشئت منظمة بيتار الصهيونية عام 1926 في النمسا ، واتخذت فرعاً لها في برلين عام 1928 حيث أشرف علىٰ إدارتها (ألكسندر ريتر) وبلغ عدد أعضائها آنذاك 400 يهودي ألماني. وبعد وصول هتلر إلىٰ السلطة تضاءلت أعمال المنظمات اليهودية اليسارية، لكن منظمة بيتار تعاظمت وازداد نفوذها وكثر عدد أعضائها من الشبّان اليهود. وإلىٰ جانبها نشطت منظمتا (بيريث هاشومريم) و(هرتزليا – بيتار) وسمح لأعضائها بارتداء ملابس رسمية موحدة (قميص داكن وسروال و كتافيات وربطة عنق و طاقية و نطاق). ويؤكد ذلك قيام تلك المنظمات بنشاطات شبابية عديدة (اجتماعات، تجمعات عامة، معسكرات صيفية، رحلات ، رياضات، تجديف، أعمال زراعية مشتركة) وهذا السماح دفع الشبان اليهود للانضمام إليها. وبدأت تظهر في تلك الأوساط فكرة التهجير إلىٰ فلسطين. وتعتبر الوثائق الصهيونية أن حركة هرتزليا هي فرع من بيتار الدولية.

وبالاتفاق مع السلطات النازية نشرت بيتار كراسات مطبوعة تتضمن مقالات قومية يهودية،وتركز علىٰ أحداث فلسطين وتسخر من البريطانيين والعرب. كما

وسمح لبيتار بعرض أفلام عن أوضاع فلسطين آنذاك، وبجمع مبالغ مالية لمساعدة الحركات اليهودية. وقد حظيت تلك المنظمات اليهودية علىٰ تسامح كبير من حكومة الرايخ ، وعلىٰ تأييد قوي للقيام بإعداد برنامج منظم لتهجير اليهود إلىٰ فلسطين.

وفي عام 1926 أسس جورج كاريسكي حزباً انعزالياً صارماً لتقوية اليهود في ألمانيا وناديٰ بتثقيف اليهود بثقافة خاصة في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، وفي العام 1929 انتخبته الجمعية اليهودية العامة في برلين رئيساً لها. لكن المنظمات الصهيونية الألمانية الأخرىٰ حاربته واتهمته بالعمالة للنازية.وبلغ عدد أعضاء منظمته حوالي الألف.

وبالفعل كان البوليس السري الألماني يستخدم كاريسكي بغية السيطرة علىٰ المنظمات اليهودية وقيادتها بطريقة تتناسب مع سياسة ونهج الرايخ.

وبعدما فشل كاريسكي في فرض نفسه كقائد أعلىٰ للمنظمات اليهودية، أرغم الألمان علىٰ تبديل خططهم، فعيّنوه مسؤولاً علىٰ النشاطات الفنية اليهودية في ألمانيا، لكن الفنانين اليهود رفضوا التعامل معه فقام كاريسكي باختلاس أموال من مصرف (أفريا) وقام بزيارة لفلسطين لكن اليهود لاحقوه وضربوه فلجأ إلىٰ أحد البيوت قبل أن يهرب ويعود إلىٰ ألمانيا.

ثم عاود نشاطاته هناك وساهم في مشاريع تهجير اليهود إلىٰ فلسطين، وظلّ علىٰ الدوام يدافع بخطاباته عن العلاقات اليهودية الألمانية الخاصة. ولم يعترف بحدوث إبادة لليهود في الحرب العالمية الثانية. بل أكّد علىٰ وجود برنامج ألماني للتخلص من اليهود وقال: إن ذلك يخدم القضية اليهودية. وكان شعاره علىٰ الدوام (شعب ، أرض، اله) وتوفي كاريسكي في العام 1947. وأطلق أتباعه اسمه علىٰ شارع في المنطقة المسماة بالعبرية (رامات غان) في فلسطين المحتلة.

وفي عام 1933 انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي وصوّت بالموافقة علىٰ اقتراح هتلر للتعاون مع اليهود. وبناء علىٰ ذلك أعلن هتلر عن وثيقة التعاون التجاري مع البنك

الإنكليزي الفلسطيني التابع للمنظمة الصهيونية، وبموجبه كانت تنقل وتحوّل أموال المهاجرين اليهود إلىٰ فلسطين. كما وساهمت المنظمات الصهيونية مقابل ذلك بتصريف البضائع والمنتوجات الصناعية الألمانية في الشرق الأوسط والبلدان الأوروبية الشرقية. (37)

رابعا: برامج تهجير اليهود الألمان

في شهر آب 1933 وبعد مباحثات جرت بين الحكومة الألمانية وحاييم أرلوزوروف السكرتير السياسي للوكالة اليهودية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية (فرع فلسطين) تم الاتفاق علىٰ تأسيس شركتين (هاأفارا Ha Avara) في تل أبيب و(بالترو) في برلين. تعملان علىٰ تيسير هجرة اليهود الألمان إلىٰ فلسطين. بحيث يقوم كل مهاجر بإيداع مبلغ ألف جنيه إسترليني في حساب خاص في برلين يمكنه من السكن في فلسطين، وكان بوسع المهاجر أن يرسل إلىٰ فلسطين منتجات صناعية ألمانية تقوم الوكالات اليهودية بتسويقها في فلسطين، وإعادة ثمنها إلىٰ الدافع نفسه بعد وصوله إلىٰ فلسطين. وكانت المنظمات اليهودية تختار الأشخاص الذين تسمح لهم بالهجرة وتمنع من لا تراه مناسباً. ولم توافق علىٰ استقبال كبار السن وغير المنجبين، وكانت توجه اهتمامها علىٰ اختيار الشبان من اليهود. وقد تم تحويل مبلغ ثلاثين مليون دولار آنذاك وهو مبلغ كبير للغاية وقد ساهم في تطوير اقتصاد الدولة اليهودية منذ بداياتها. وبفضل نظام هاآفارا هاجر نحو 60 ألف يهودي خلال المدة الواقعة بين 1933 – 1939 ، أي ما يعادل 10 ٪ من اليهود الألمان ونسبة 15 ٪ من يهود فلسطين في العام 1939. وكان المهاجرون اليهود يطالبون بتعويضات من الشركات الألمانية التي كانوا يعملون فيها. وتقدمت الوكالة اليهودية بطلب تلك التعويضات من حكومة الرايخ فحصلت عليها. وأضيف إلىٰ برنامج التهجير برنامج تعليم اللغة العبرية للراغبين بالهجرة من ألمانيا إلىٰ فلسطين.

وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود من ألمانيا وحدها 400 يهودي أسبوعياً. وكل

ذلك يبين مدىٰ تساهل هتلر مع المنظمات الصهيونية، وهذا التساهل يعتبر دليلاً قوياً علىٰ أن هتلر لم يكن يحمل أية عدائية لليهود، وبالتالي فلا يمكن اتهامه بإبادتهم.

النفوذ اليهودي في ألمانيا

لقد أدّىٰ تركز يهود ألمانيا في المدن إلىٰ وضوح تمايزهم الوظيفي والمهني، وهي ظاهرة موغلة في القدم في دول وسط أوربا، وخصوصاً في ألمانيا. فلقد كان أعضاء الجماعة اليهودية في الإمارات الألمانية يُشكّلون، في العصور الوسطىٰ، جماعة وظيفية وسيطة تضطلع بدور التاجر والصيرفي والمرابي، ثم تم طردهم من عدة مدن وإمارات ألمانية، فهاجروا منها إلىٰ مدن وإمارات ألمانية أخرىٰ. ولكن، مع حلول القرن السادس عشر، سُمح لليهود بالاستقرار في كثير من المدن والإمارات التي كانوا قد طُردوا منها، وتم استقدامهم كعنصر تجاري نشط لديه رأس المال اللازم والاتصالات الدولية. وكان يهود المارانو (الذين طُردوا من شبه جزيرة أيبريا) من أهم هذه العناصر. وعادةً ما كان يتم استقدام اليهود، سواء في العصور الوسطىٰ أو في القرن السادس عشر، بأمر من الإمبراطور أو الأمير أو النخبة الحاكمة، فكان أعضاء الجماعات اليهودية يتبعون النخبة الحاكمة أو أحد أعضائها بشكل مباشر ويُشكّلون مصدر دخل كبير لها، وكان الممولون اليهود يقومون باعتصار الجماهير من خلال الفوائد الضخمة التي يُحصّلونها علىٰ قروضهم. . وفي القرن السادس عشر ظهرت مهنة يهودي البلاط الذي يدير الخزانة الملكية ويعقد الصفقات والقروض بالنيابة عن الأمراء ويمول الحروب ويدير الاتصالات التجارية اللازمة، أي أن أعضاء الجماعة اليهودية في ألمانيا كانوا مرتبطين بالحاكم ملتصقين به ومتميّزين طبقياً ومهنياً عن بقية أفراد الشعب، وهو وضع ازداد تبلوراً في القرن التاسع عشر، كما يبيّن الجدول التالي الخاص بتوزيع أعضاء الجماعة اليهودية في المهن والحرف المختلفة. وكان وجود بعض أعضاء الجماعة اليهودية كوسطاء أمراً واضحاً جداً، فقد تركزوا في صناعة الأثاث والملابس الجاهزة وارتبطوا بالصيرفة والمحال التجارية، الأمر الذي حولهم إلىٰ شخصيات مكروهة من الطبقة الوسطىٰ،

خصوصاً في ظروف الأزمة. واتضح كذلك وجود اليهود في مهنة الإقراض وتحصيل ريع الملكيات الزراعية . كما عملوا تجار مواش، الأمر الذي جعلهم مكروهين من الفلاحين. وقبل الحرب العالمية الثانية، كان عدد يهود ألمانيا لا يزيد على 1٪ وكان يهود برلين يُشكِّلون 5٪ من سكانها، ومع هذا كانوا يُشكِّلون النسب التالية في بعض القطاعات الاقتصادية في برلين: (48)

النسبة	القطاع الاقتصادي
70٪	من مجموع أصحاب الحوانيت
30٪	من مجموع تجار الملابس
25٪	في تجارة الأثاث
17٪	من مجموع العاملين في المصارف
10٪	من الأطباء
16٪	من المحامين

ومن الإحصاءات الأخرىٰ ذات الدلالة أن يهود برلين الذين كانوا يشكلون ـ كما أسلفنا ـ 5٪ من سكانها كانوا يدفعون 30٪ من جملة الضرائب، وكان يهود فرانكفورت الذين يشكلون 7٪ من سكانها يدفعون 28٪ من ضرائبها، كما بلغت نسبة أصحاب الأعمال ومديري البنوك من اليهود في برلين 55.15٪ في عام 1882، ثم هبطت إلىٰ 32.6٪ في عام 1925 (وهي أيضاً نسبة عالية). وتقول الموسوعة اليهودية العالمية: إن الهبوط في النسبة المئوية لم يصاحبه هبوط في النفوذ، إذ كان اليهود، في بعض السنوات، يُديرون أهم ثلاثة بنوك تتحكم في 60٪ من نسبة الإقراض في بعض السنوات، وكانوا يديرون نحو ثلاثة أرباع القروض الأجنبية التي مُنحت لألمانيا من عام 1924 إلىٰ عام 1929. كما سيطر اليهود علىٰ 57.32٪ من صناعة المعادن في عام 1930 (48) وهكذا، ارتبط اليهود في العقل الألماني بالمشروع الحر والمضاربات والسياسات الليبرالية. ومن جهة أخرىٰ، كان والتر راتناو (وزير التعمير ثم وزير الخزانة في حكومة وايمار) يهودياً،

كما كان واضع دستور هذه الجمهورية يهودياً. ولإدراك التخاذل اليهودي نذكر أن أعضاء الجماعة اليهودية ارتبطوا بالمثل الليبرالية في وقت كان فيه المجتمع الألماني كله يتخلىٰ - بعد تَعثُّر التحديث - عن هذه المُثل ليبحث عن طرق أخرىٰ شمولية لحل مشاكله. ولعل في هذا الارتباط الوثيق بين الرأسمالية الألمانية ويهود ألمانيا ما يُفسِّر النقد الاشتراكي الثوري العنيف لليهود باعتبارهم ممثلين للرأسمالية، ولليهودية باعتبارها دين الاقتصاد الجديد. ولعل هذا يُفسِّر أيضاً السبب في أن ماركس كان يرىٰ أن إله إسرائيل الطماع هو المال. وهذا التراث الاشتراكي في نقد الشخصية اليهودية نابع من تربة ألمانية أساساً، حيث كان اليهود ممثلين بشكل واضح في الطبقات الرأسمالية.

وكان رئيس حكومة بافاريا الثورية (البلشفية) يهودياً، وكان كثير من قيادات الحركة الثورية المتطرفة (مثل روزا لوكسمبرج) من اليهود، وهكذا، ارتبط اليهودي بالسياسة والصناعة والاستغلال والمشروع الحر، وكذلك بالثورة الاشتراكية المتطرفة والحركات الثورية، أي أن اليهودي أصبح رمزاً جيداً لهذا المجتمع الحديث المبني علىٰ التعاقد والتنافس، والذي قوّض دعائم المجتمع الألماني المترابط ، وأصبح بؤرة تتجمع فيها مخاوف الطبقة الوسطىٰ التي كانت آخذة في التدهور الاجتماعي والطبقي بسبب التضخم والبطالة. بل أصبح رمزاً لكل تلك القوىٰ، من اليمين واليسار، التي أودت بألمانيا وفرضت عليها أن تذعن للحلفاء .

وارتطمت الدولة النازية بكل من الرأسمال الحر الذي ارتبط به اليهود واليسار المتطرف الذي وُجد فيه اليهود أيضاً بشكل ملحوظ. أي أن ألمانيا وجدت نفسها بين فكي كماشة يهودية تتحكم باقتصادها السياسي وبمصيرها بقوة.

والجدير بالذكر أن وضع اليهود تحسن كثيراً في منتصف القرن التاسع عشر مع توحيد ألمانيا، فقد كان ثلاثة من أهم مستشاري بسمارك من اليهود. بل وإن اليهودي الذي تحول إلىٰ المسيحية فريدريك ستاهل كان مُنظِّر الدعوة إلىٰ العسكرية البروسية.

وكان بسمارك يفكر في استخدام اليهود دائماً في مشاريعه. ويظهر ذلك الاتجاه

بشكل أوضح في تفكير إمبراطور ألمانيا (ويلهلم الثاني) الذي كان يرىٰ إمكانية استخدام اليهود في مشروعه الاستعماري، وكانت مفاوضات هرتزل، مع إمبراطور ألمانيا، تدور داخل هذا الإطار وتنطلق من هذا التفاهم الضمني. وفي الوقت نفسه، كانت المنظمة الصهيونية في ألمانيا لا تكف عن الحديث عن نفع اليهود وإمكان استخدامهم في المشاريع الاستعمارية الألمانية المرتقبة، وتوطينهم في فلسطين أو في غيرها تحت راية الاستعمار الألماني. وقامت جمعية الغوث الألمانية اليهودية بالمساهمة في النشاط الاستيطاني الصهيوني باسم الاستعمار الألماني، كما كان يُنظَر إلىٰ العنصر اليهودي من شرق أوربا (المتحدث باليديشية) باعتباره عنصراً ألمانياً، يمكن تسخيره في صالح المشروع الألماني الاستيطاني .

وكما هو معروف، صدر وعد بلفور الذي ينطوي، بشكل ضمني، علىٰ إمكان تحويل اليهود إلىٰ عناصر تدين بالولاء للاستعمار الإنجليزي. ورغم هذا، استمرت رئاسة المنظمة الصهيونية الموجودة آنذاك في ألمانيا في التقرب إلىٰ النظام الحاكم، واستمرت في بذل المحاولات لاستصدار وعد بلفوري ألماني. وبسبب علاقة ألمانيا الخاصة بالدولة العثمانية ورفض الخليفة العثماني الموافقة علىٰ المشروع الصهيوني فقد أصدرت الحكومة الألمانية (بعد صدور وعد بلفور) تصريحاً مبهماً يشبه وعد بلفور من بعض الوجوه، تَعد فيه بمساعدة المشروع الصهيوني.

تهميش اليهود الألمان

تسبَّبت الهجرة الكثيفة ليهود اليديشية في أعقاب تعثُّر التحديث في شرق أوربا في زيادة عدد اليهود الألمان وبالتالي تهميشهم وفصلهم عن التشكيل القومي الألماني العضوي. وكانت تلك أول هجرة داخلية في أوربا في العصر الحديث. واستمرت إلىٰ حتىٰ عام 1880. ولم تبدأ الهجرة عبر الأطلنطي بشكل مكثف إلَّا بعد ذلك التاريخ. وقد هاجر، في المرحلة الأولىٰ مئات الألوف، ووصلت أعداد كبيرة منهم إلىٰ إنجلترا وتسببوا في استصدار وعد بلفور لتحويل سيل الهجرة عنها، كما وصلت أعداد كبيرة منهم إلىٰ ألمانيا.

وقامت ألمانيا في نهاية القرن الثامن عشر، بضم بولندا التي كانت تضم يهوداً من المتحدثين باليديشية مما سمح لهؤلاء أن يهاجروا إلىٰ المدن الألمانية الكبرىٰ .وبالفعل، انتقل معظم يهود بوزنان إلىٰ ألمانيا، وكذا أعداد كبيرة من يهود جاليسيا وقد شهدت سنوات العشرينيات من القرن العشرين هجرة يهودية ضخمة من بولندا إلىٰ ألمانيا بسبب الأزمة الاقتصادية.

وكانت نسبة اليهود الأجانب بين يهود ألمانيا هي 2.7 ٪ عام 1880، وارتفعت إلىٰ 12.8٪ عام 1910 واستمرت في التزايد بعد هذا التاريخ مما زاد عدد اليهود في ألمانيا الأمر الذي عظّم نفوذهم فيها.

العبرنة والمنظمات اليهودية

وتحوَّلت ألمانيا، بعد الحرب العالمية الأولىٰ، إلىٰ مركز للثقافة العبرية نتيجةً لهرب العديد من الكتاب اليهود من روسيا إليها، فتم تأسيس دار نشر عبرية، كما أسست الحركة الصهيونية كثيراً من المدارس لتعليم العبرية. (وهو اتجاه أيده النازيون فيما بعد ودعموه لأنهم كانوا يرون ضرورة عبرنة اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً مستقلاً عن الشعب العضوي الألماني ونلاحظ هنا بأن الدولة النازية سبقت الدولة الصهيونية في تبنِّي كثير من مشارع العبرنة. وكان من شأن هذا كله أن أصبح العنصر اليهودي مرة أخرىٰ عنصراً عضوياً متماسكاً غريباً يقف خارج المجتمع أو علىٰ هامشه. ولذا، كان أحد المطالب الأساسية لأعداء اليهود هو وقف الهجرة من شرق أوربا لأنها تأتي بالغرباء حسب قوله. وكانت حقوق اليهود الأجانب مثار نقاش حتىٰ في عهد جمهورية وايمار الليبرالي، ولهذا نجد بعض الألمان، ممن لا يمكن اتهامهم بمعاداة اليهود، يطالبون بعدم السماح ليهود الشرق بامتلاك عقارات باعتبارهم أجانب لا باعتبارهم يهوداً .

بل لقد طُرحت القضية نفسها داخل المنظمات اليهودية ذاتها وانطلقت هذه التساؤلات:

هل يُمنح اليهود الأجانب، الذين كانوا يشكلون أحياناً الأغلبية في بعض المجتمعات، حق التصويت في الانتخابات؟ وبالفعل، قرر كثير من هذه التجمعات السماح ليهود الشرق بالانضمام إليها بدون ممارسة حق التصويت. ولعل تأسيس جمعية الغوث كان يهدف إلىٰ إبعاد يهود الشرق عن ألمانيا حتىٰ لا يتأثر وضع اليهود داخلها، كما هو الحال مع جمعيات الغوث الأخرىٰ التي أنشأها أثرياء اليهود في الغرب أمثال هيرش وروتشيلد. وظهرت في هذه المرحلة جمعيات يهودية، مثل: التنظيم المركزي للمواطنين الألمان من أتباع العقيدة اليهودية وهي جمعية يهودية تدعو إلىٰ الاندماج ، وجمعية غوث يهود ألمانيا وهي جمعية خيرية قامت بنشاط استيطاني في فلسطين وغير ذلك من جمعيات دينية وثقافية. وتم تأسيس اتحاد عام لهذه الجمعيات في أواخر العشرينيات من القرن الماضي.

مؤتمر بوزنان الصهيوني

انعقد مؤتمر بوزنان عام 1912 وتُوِّجت جهوده باستصدار قرار بوزنان الصهيوني الذي جعل من الهجرة إلىٰ فلسطين هدفاً أساسياً لكل يهودي .ودافع مارتن بوبر عن علاقة **التربة بالدم**، كما دافع عن أن اليهود شعب آسيوي أساساً. وتحدث ناحوم جولدمان عن اليهود **كعنصر هدام** في كل المجتمعات لأنهم غرباء، وتحدث جيكوب كلاتسكين عن **ازدواج الولاء** عند اليهود، وتحدث حاييم وايزمان عن اليهود باعتبارهم **عنصراً فائضاً** يقف في حلق الأمة الألمانية، وهي شعارات تعود كلها لتيودور هرتزل وماكس نوردو اللذين وضعا أساس الصهيونية الألمانية. وعن أطروحاتها تفرعت الشعارات اليهودية العديدة.

وأشاعت هذه الدعاية وهذه القرارات صورة سلبية للغاية عن أعضاء الجماعة اليهودية وعن عدم إمكان دمجهم في الشعب العضوي الألماني. وفي هذا المناخ ظهر هتلر وظهرت النازية. وأثناء محاكمات نورمبرج، أصرّ الزعماء النازيون، الواحد تلو الآخر، علىٰ أنهم تعلموا ما تعلموه عن المسألة اليهودية من أدبيات الصهاينة

أنفسهم. وقد كانوا فعلاً على حق. بل إنّ النازيين الذين تفهّموا الشعارات والنداءات اليهودية قاموا بتلبيتها عن قناعة منهم. ووجدوها تتوافق مع رغبة الأوروبيين في التخلص من اليهود عن طريق تهجيرهم. ويمكننا القول بأنه عبر تاريخ اليهود الطويل بكامله لم توجد أمة أو سلطة أو شعوب قدّمت لهم خدمات تاريخية مفيدة لقضيتهم بمثل ما قدمت لهم ألمانيا النازية. وهم يدركون ذلك كله ويعاقبون ألمانيا وشعبها على حسن صنيعتهم.

ومع وصول هتلر إلى الحكم، استولى الصهاينة على قيادة الجماعة اليهودية وطرحوا برنامجاً في العام 1933 لإعادة صياغة الجماعة اليهودية في ألمانيا وتعليم اليهود ما يتفق مع التقاليد الصهيونية، وذلك عن طريق مزج القومية بالدين بهدف تهجيرهم خارج ألمانيا .فوافق النازيون على الطرح الصهيوني للقضية وقدّموا التأييد والدعم للأنشطة والمؤسسات الصهيونية.

المشاريع النازية الخاصة باليهود

كان النظام النازي تكويناً تكنولوجياً تكنوقراطياً تم تنظيمه تنظيماً هرمياً دقيقاً، وعلى قمة الهرم يقف الفوهرر، ويحرك هذا الهرم بشكل محايد ليدافع عن مصلحته، كما يراها هو، وعن منفعته، كما حددها هو بمشاركة النخبة الحاكمة من علماء وساسة. وفي زمن الحرب أدار هملر مؤسسته بطريقة حديثة للغاية تبدت في كيفية استخدامه لليهود من خلال واحد من أهم أسس الإدارة الحديثة فيما يُسمَّى الإدارة الذاتية ، إذ كوَّن نخبة من اليهود نواتها الأساسية أعضاء المجالس اليهودية والموظفون الملحقون بها، تدور حولها قطاعات أخرى مثل العمّال اليهود في مصانع الذخيرة، وبعض الشخصيات اليهودية العامة، وتم وصفهم جميعاً بأنهم «يهود يتمتعون بالحماية من الترحيل» نظراً لنفعهم. وكان ذلك امتداد للتقسيم الغربي القديم لليهود والذي ظل سائداً منذ العصور الوسطى حتى أوائل القرن التاسع عشر وإن كان قد اكتسب عمقاً خاصاً في القرن الثامن عشر وعصر الاستنارة وظهور مبدأ المنفعة . وقد أصبح هؤلاء

أداة ذات كفاءة عالية في يد الإدارة النازية وتعاونوا معها تماماً .

وفي زمن الحرب كانت آليات السخرة كلها تتسم بتعظيم الإنتاج والمنفعة. وكان إرسال اليهود إلىٰ معسكرات العمل بالسخرة لتزويد الشركات الألمانية بالعمالة الرخيصة، وهو ما أفاد الاقتصاد الوطني الألماني فكان يتم فرزالمساجين بعناية شديدة، حيث يُوجَّه القادرون علىٰ العمل إلىٰ أعمال السخرة. وكان قسم من اليهود يرسلون أحياناً إلىٰ شبه مستعمرات، أسسها النازيون خصيصاً، وكانت تأخذ شكل مناطق "قومية" مستقلة لها مجالسها التي تحكمها ونظامها المصرفي المستقل وعملتها الخاصة ونظامها التعليمي الخاص، وكانت تلك تدخل في علاقة تبادل كولونيالية مع الدولة النازية.

فكانت الجيتوات تزود الدولة النازية بالعمالة والخدمات وبعض السلع نظير أن تزودها الدولة النازية بالغذاء والملابس ومستلزمات الحياة الأخرىٰ. ولكن علاقة التبادل كانت غير متكافئة لصالح الدولة النازية بحيث تكون الخدمات والعمالة الخارجة من الجيتو أكبر من قيمة ما يحصل عليه سكان الجيتو من المواد الغذائية التي كانت دائماً أقل من أن تفي باحتياجات العاملين اليهود، ويمكن القول بأن العلاقة بين الجيتو والدولة النازية كانت في زمن الحرب نوعاً من العلاقة الاستعمارية لا تختلف كثيراً عن علاقة إنجلترا بمستعمراتها. وكانت تلك المستعمرات اليهودية مؤقتة ريثما يتم تهجير اليهود والتخلص منهم. وإن وجودها يدل علىٰ عدم وجود نظام إبادة لليهود طوال فترة الحرب كلها.

وقد درج استخدام تسمية **معسكرات الاعتقال**، وهي المعسكرات النازية الشهيرة والتي لم تكن في الأصل معسكرات اعتقال بل كانت معسكرات تشغيل وسخرة، وكان يسودها نظام مغادرة المعتقلين صباحاً للعمل في المصانع وعودتهم في المساء. وعلىٰ هذا كان المعتقلون يتمتعون بنوع من الحرية ، اضافة إلىٰ أن هذه الظاهرة تؤكد عدم وجود نظام إبادة فيها.

يهود في الجيش الألماني

كان يقسم اليهود في ألمانيا النازية إلىٰ نوعين: يهود نافعين ومن ثم لا يمكن نقلهم بل إن الدولة تحافظ عليهم وتستفيد منهم، ويهود غير نافعين ومن ثم يمكن نقلهم وتهجيرهم .

ولم تكن ظروف الحرب تعوق الألمان عن التحلي بالموضوعية الكاملة. فعلىٰ سبيل المثال، حينما وصلت القوات الألمانية إلىٰ شبه جزيرة القرم ووجدت فيها بعض اليهود القرّائين، وقد برهن لهم هؤلاء أنهم ليسوا يهوداً بالمعنىٰ العام والسائد، وأنهم لا علاقة لهم باليهود من أتباع اليهودية الحاخامية ولا يتسمون بما يتسم به اليهود عموماً من طفيلية (كما تزعم أدبيات العداء لليهود في العالم الغربي).

وأرجأ النازيون في الميدان تنفيذ عملية التسخير والتهجير لهؤلاء، وأرسلوا بأحد الضباط إلىٰ برلين ليدرس قضيتهم بشكل موضوعي رغم ظروف الحرب ويعود بالنتائج المناسبة. وبالفعل توصَّل هذا الضابط الباحث إلىٰ أن القرّائين لا يتسمون بالسيكولوجية أو الطبيعة اليهودية، وأخذ النازيون بتقريره، ولذا لم يُطبَّق علىٰ اليهود القرّائين قرار التهجير. بل قرر النازيون، انطلاقاً من الرؤية النفعية البراجماتية المرنة، تجنيد بعض العناصر القادرة من بين اليهود القرّائين في القوات النازية. وهذا دليل علىٰ مرونة الألمان مع اليهود وعلىٰ استبعاد وجود مبدأ إبادة اليهود في برنامجهم، إذ لا يمكن الجمع بين ظاهرتين إحداهما تجنّد اليهود في الجيش النازي والأخرىٰ يقوم بها هذا الجيش نفسه بإبادة اليهود الذين هم جزء منه.

وهنا نكتشف عند الألمان مرونة وحيوية قلّما نجدها في كيان دولة تخوض تلك الحروب الواسعة في ظروف شديدة الصعوبة. ثم فهل يمكن الجمع بين ظاهرتين تقول الأولىٰ بإبادة اليهود وتؤكد الأخرىٰ توظيفهم في الجيش الألماني؟ وهل يمكن أن نجد جنوداً يهوداً في جيش يقوم بإبادة اليهود؟ أي بإبادة نفسه؟.

مؤتمر فانسي ومشروع الحل النهائي

تذكر الوثائق الصهيونية أنه في 20 يناير 1942 عُقد مؤتمر يُسمَّىٰ «مؤتمر فانسي» بهدف التنسيق مع الوزارات الألمانية المختلفة التي اشتركت فيه إضافة للحزب النازي وقوات الإس. إس. في محاولة تنفيذ مشروع الحل النهائي للقضية اليهودية. ويُقال: إن رينهارد هايدريش دعي إلىٰ هذا المؤتمر بناء علىٰ خطاب من هرمان غورنغ بتاريخ 31 حزيران 1941، وأشار إلىٰ «الحل الكامل للمسألة اليهودية». وقد أعدّ أيخمان الإحصاءات والبيانات اللازمة لمناقشة الموضوع. وحضر المؤتمر كبار موظفي الدولة والحزب وناقشوا كيفية تهجير اليهود وإرسالهم إلىٰ معتقلات العمل والسخرة. وتثبت وثائق هذا المؤتمر بأن معسكرات تجميع اليهود وتشغيلهم كانت مطلباً يهودياً عاجلاً من النازيين. وعبارة «الحل الكامل» هي صيغة أخرىٰ لعبارة «الحل النهائي» بالألمانية: Endlosung التي ترد في بعض الأدبيات النازية،ورغم أنها كلمة لاتفيد معنىٰ الإبادة فقد اعتمدها الغرب علىٰ أنها تعني الإبادة. واعتمدت وثائق محاكمات النازيين عليها كمصطلح إبادي.

وبعدما تفحص روجيه غارودي الوثائق النازية أكّد عدم ترادف عبارة «الحل النهائي» مع عبارة «**الإبادة كتصفية جسدية**»، **كما تزعم الأدبيات الصهيونية**. ولوحظ عدم ورود لفظ «الإبادة كتصفية جسدية» مقروناً بعبارة «الحل النهائي» في أية مذكرة نازية. وقد بيَّن ريمون آرون وجاك فيوريت (عام 1979) – في ختام مؤتمر عُقد خصيصاً لهذه القضية وغيرها من القضايا المتعلقة بالإبادة النازية ليهود أوربا – أنه لم يتم العثور علىٰ أية مذكرة تحمل معنىٰ الإبادة رغم كل الجهود المبذولة. وقد وافقهما المؤرخ الصهيوني النزعة وولتر لاكير علىٰ رأيهما هذا عام 1981،واستنتج بأن أمر الإبادة لم يصدر علىٰ الإطلاق.

كان النازيون يتحركون في إطار الحل الإمبريالي للمسألة اليهودية وهو تصديرها للخارج. وقد بيَّن هتلر أنه يميِّز بين معاداة اليهود العاطفية ومعاداة اليهود المنهجية،

فالأولىٰ تنتهي بالمجازر، أما الثانية فتنتهي بتهجير اليهود. وقد حدد هتلر مشروعه بالنسبة لليهود باعتباره عملية تهجير. وفي رده علىٰ سؤال وُجه إليه في اجتماع عام بشأن حقوق اليهود الإنسانية، قال: **ليبحث اليهودي عن حقوقه الإنسانية في دولته فلسطين** وذلك يعني ضمناً أن هتلر كان يخطط لتهجيرهم إلىٰ فلسطين ولا يريد إبادتهم .

وفي 10 آب 1941 دافع هتلر عن الحل الشامل للمسألة اليهودية باعتباره أمر بنقل 600 ألف منهم من أراضي الرايخ. وكانت مجلة الإس. إس. قد استخدمت العبارة نفسها بهذا المعنىٰ في عددها الصادر في 24 تشرين الثاني 1938 حين تحدثت عن الحل الشامل باعتباره الفصل والعزل الكلي لليهود ولم تذكر آنذاك أي شيء عن وجود إبادة. وطبّق النازيون هذه الرؤية الإمبريالية (الصهيونية) علىٰ اليهود، ولذا بدأ الحل النهائي بتهجير اليهود من أصل بولندي إلىٰ بولندا، ولكن الحدود أُوصدت دونهم بناءً علىٰ مطلب الصهاينة أنفسهم. ثم طرح النازيون مشاريع عديدة تتوافق مع الرغبات الصهيونية وتهدف إلىٰ توطين اليهود وتأسيس وطن قومي لهم في أي مكان خارج أوربا وطرحت أكوادور و سورية و مدغشقر ولمّا كانت تلك مطالب الصهاينة فقد تعاون النازيون معهم انطلاقاً من قبول هذا الحل الصهيوني النازي للمسألة اليهودية فتم توقيع معاهدة «الهعفراة» للمساعدة في تهجير اليهود إلىٰ فلسطين. وحقق النازيون بعض النجاح في هذا المضمار إذ بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من ألمانيا وحدها حوالي 150 ألف (بين 1933 ـ 1938) وهي نسبة مئوية عالية. وظل النازيون يدافعون عن فكرة تهجير اليهود، وفي السنين الأخيرة للحرب وبعد وقوع مساحات شاسعة من الأرض السوفييتية البولندية في أيدي النازيين، بدأت فكرة توطين اليهود فيها تراود النازيين وانطلق شعار ترحيل اليهود إلىٰ الشرق. وقد جاء في مذكرة رسمية بتاريخ 10 فبراير 1942 صادرة من وزارة الخارجية الألمانية ما يلي:

إن الحرب ضد الاتحاد السوفييتي وفرت لنا أراضي جديدة لتنفيذ الحل النهائي. وقد قرر الفوهرر أنه بدلاً من إرسال اليهود إلىٰ مدغشقر فسيقوم بإرسالهم إلىٰ الشرق.

وكل هذا يعني في واقع الأمر أن الحل النهائي هو حل صهيوني إقليمي، يعني التخلص من اليهود عن طريق ترحيلهم من مكان لآخر، تماماً كما فعلت الحضارة الغربية مع اليهود حيث نقلتهم إلىٰ فلسطين، وكما فعل الصهاينة مع الفلسطينيين بطردهم منها ، والواقع أن الحل النهائي كان مطلباً صهيونياً ملحاً، وكان اليهود يرون فيه حلاً نهائياً لمشكلة وجودهم العسير في أوروبا. وهذه المطالب نفسها هي التي أكدتها الصهيونية نفسها بعد انتهاء الحرب، وبناء عليها تم دعم إقامة دولة الصهاينة المؤقتة في فلسطين. وإن كلمة إنهاء الألمانية Volkstod كانت ترد في نصوص نازية عديدة وكان يقصد بها التصفية النهائية ، ولم تكن تحوي معنىٰ التصفية الجسدية أو الإبادة. ففي 26 مارس 1941 في حفل افتتاح معهد فرانكفورت لدراسة المسألة اليهودية أورد أحد المتحدثين هذه الكلمة الألمانية Volkstod باعتبارها الحل الشامل للمسألة اليهودية وعُرِّف هذا الحل بأنه أن يترك اليهود أوربا.

عبارة استئصال المسيحيين في محاكمة نورينبيرغ

لوحظ أثناء محاكمات نورمبرج أن المدّعين الذين مثلّوا الحلفاء كانوا يحاولون قصارىٰ جهدهم أن يترجموا بعض الكلمات الألمانية لتحمل معنىٰ الإبادة . فكلمة Ausrottung علىٰ سبيل المثال، والتي تعني «استئصال شأفة» شيء ما بأية طريقة فعلية أو مجازية ترجموها إلىٰ «إبادة» بمعنىٰ «تصفية جسدية متعمدة»، مع أن النازيين استخدموا في إحدىٰ وثائقهم عبارة «استئصال المسيحية»، ولم يُفسِّر أحد هذه العبارة باعتبارها مخططاً نازياً لإبادة المسيحيين.

لقد كانت محاكمة نورنبيرغ صورية تماماً فقد ألبست التهم إلىٰ خمسة عشر قيادياً نازياً كان أهمهم رودولف هيسس وغيرينغ. وكان غالبية القضاة والمحققي والمترجمين وجلادي السجون من اليهود. وكان غارينغ وغيره يعرّض للتعذيب وللضغوطات النفسية الشديدة وكاد يموت ذات مرة فقال الطبيب النفسي المسؤول عنه ،وكان يهودياً، لضابط السجن: لقد وصلت دقات قلبه إلىٰ 300 ضربة في الدقيقة وعليّ أن

أحافظ علىٰ حياته. ولّما أحسّ غيرنغ بالمؤامرة اليهودية ذكر حادثتين عن اليهود ليستعطف جلاديه فقال أثناء التحقيق: لقد أصبت بطلقة رصاص في ساقي فيما مضىٰ وأسعفتني فتاتان يهوديتان، وعندما أصبحت في القيادة أخرجتهما من المعتقل، وقال في وصف الحادثة الثانية: قبل أن أصل اليكم كنت علىٰ موعد مع صديقة يهودية، كنا ذاهبين إلىٰ مكتب الماسونية لأنضم اليها.

وعندما أدرك عمق المؤامرة اليهودية قال كلمته الشهيرة:

المنتصرون دائماً يكونون القضاة، والخاسرون يكونون المتهمون.

التحالف الصهيوني مع الفاشية الايطالية

من أهم الأفكار الغربية التي تبنتها الصهيونية في فترة نشوئها وتطورها، إضافة للمرجعية اليهودية تلك الأفكار السياسية الخاصة بالقومية العضوية وبالدولة القومية باعتبارها المرجعية الرئيسة والركيزة الأساسية للنسق، وهي الأفكار التي تصبح تقديساً للدولة وانصياعاً لزعيمها في الأنساق الشمولية. وقد تبنت الصهيونية كل هذه الأفكار وتحركت في إطارها، فأنشأت علاقة مع النظام الفاشي في إيطاليا والنظام النازي في ألمانيا .

فقد أكّد موسوليني منذ بداية حكمه أن الفاشية لا علاقة لها بالعداء لليهود. وفي 30 أكتوبر 1930 أصدر قراراً بدمج كل التجمعات اليهودية في إيطاليا في اتحاد فاشي يمثل كل يهود إيطاليا بغير استثناء، وأصبح هذا الاتحاد إحدىٰ الوكالات الرسمية للحكومة الفاشية. حيث نصت المادة 35 من قانون تأسيس هذا الاتحاد علىٰ أن اليهود هم سفراء الفاشية للعالم، وعلىٰ ضرورة أن يشترك اتحاد التجمعات اليهودية في إيطاليا في النشاطات الدينية والاجتماعية ليهود العالم، وأن يحتفظ بعلاقاته الدينية والثقافية معهم .وفي يناير 1923 قام حاييم وايزمان بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية بزيارة موسوليني، لمحاورته بشأن الصهيونية والدعم الفاشي الممكن تقديمه إلىٰ

الحركة. واكتشف الزعيم الصهيوني أن اعتراض موسوليني علىٰ الصهيونية مرده إلىٰ إحساسه بأن الصهيونية أداة لإضعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية. فرد وايزمان عليه رداً مقنعاً بيَّن له فيه أن إضعاف الدول الإسلامية سيعود أيضاً علىٰ إيطاليا بالنفع، وأضاف أن شروط حكومة الانتداب ذاتها تفتح المجال أمام إيطاليا أو أية دولة أخرىٰ للمشاركة في تطوير هذا البلد (أي تصدير العمالة الفائضة والحصول علىٰ امتيازات تجارية، علىٰ حد قول وايزمان ، وأن في وسع إيطاليا أن تفعل ذلك إذ اعتمدت الميزانية اللازمة. وانتهىٰ الاجتماع بتفاهم كامل بين الطرفين، سمح موسوليني علىٰ أثره بتعيين يهودي إيطالي في الوكالة اليهودية .وحينما دُعي وايزمان مرة أخرىٰ إلىٰ إيطاليا في سبتمبر1926، عرض موسوليني أن يُقدم المساعدة للصهاينة كي يبنوا اقتصادهم، وقامت الصحافة الفاشية بنشر مقالات مؤيدة للصهاينة.

كما قام ناحوم سوكولوف، باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية في المنظمة الصهيونية، بزيارة إيطاليا عام 1927 وصرح بأنه أدرك **الطبيعة الحقة للفاشية، وأكد أن اليهود الحقيقيين لم يحاربوا قط ضدها.** ولا شك في أن كلماته هذه تحمل معنىٰ التأييد الكامل للنظام الفاشي، ومنذ ذلك التاريخ تطور التعاون الصهيوني الفاشي، وتنامىٰ نفوذ المنظمة الصهيونية في إيطاليا. ومن الزعماء الصهاينة الذين زاروا إيطاليا الفاشية، ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي الذي استمع إلىٰ الزعيم الإيطالي وهو يُعرب عن حماسه للمشروع الصهيوني وعن استعداده الكامل لمساندته . وقد تعلم جابوتنسكي الكثير من الفاشية الغربية، وكان يُعبِّر عن إعجابه الشديد بها وبالتنظيمات الشبابية الفاشية التي حاولت المنظمات الشبابية التصحيحية التشبه بها في زيها الرسمي. وكال موسوليني المديح والتقريظ لجابوتنسكي حين قال مرة للحاخام ديفيد براتو الذي أصبح فيما بعد حاخام روما:

"كي تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا علىٰ دولة يهودية لها علم يهودي ولغة يهودية، والشخص الذي يفهم ذلك حقاً هو الفاشي جابوتنسكي ".

النازية من الصهيونية

لقد قامت النازية على أسس صهيونية خالصة ، وأثناء محاكمات نورنبيرغ أعلن العديد من النازيين بأنهم تعلموا العرقية من اليهود . ونبين في هذا البحث تلك العوامل المشتركة بين العقيدتين:

- **تقديس الدولة** : انطلق فكر تقديس الدولة عند اليهود من تقديسهم للشعب الذي يشكّل الدولة.

- **النزعة الداروينية النيتشوية**: لقد خرجت نظريات الداروينية والنيتشوية من العقيدة اليهودية، وكانت المبرر الفلسفي والفكري الحديث للعقائد التوراتية البعيدة عن الحداثة. وقد اعتمد عليها الصهاينة قبل أن تظهر النازية.

- **النظريات العرْقية** كانت مشتركة، ومن المعروف بأن العرقية مبدأ يهودي قديم ومازال مسيطراً على الفكر الصهيوني الحالي.

- **مبدأ القومية العضوية** والتأكيد على روابط الدم والتراب، وهو ما يؤدي إلى استبعاد الآخر ونبذه هو مبدأ مشترك بين النازية والصهيونية وقد أطلقه المنظّرون الصهاينة قبل قيام النازية بعشرات السنين. فقد قامت النازية بشكل مفاجئ وكان عليها أن تكوّن مبادئها وتعلن مشروعها خلال وقت قصير.

- **الرابطة الأزلية**: يظهر التماثل البنيوي بين النازية والصهيونية في خطابهما . فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية مثل الشعب العضوي و الرابطة الأزلية بين الشعب وتراثه وأرضه و الشعب المختار كما استخدم الصهاينة مفهوم «الدم اليهودي» لتعريف الهوية اليهودية .

ويتحدث مارتن بوبر عن أن الرابطة بين اليهود وأرضهم هي رابطة الدم والتربة، ومن ثم يطالب بضرورة العودة إلى فلسطين حيث توجد التربة التي يمكن للدم اليهودي أن يتفاعل معها ويبدع من خلالها، وهي مسألة أشار إليها كل من

الكاتبين الصهيونيين ميخا بيرديشفكي وشاؤول تشرنحوفسكي، حيث تحدثا عن الشعب العضوي اليهودي بالعبارات نفسها ونسبا إليه الخصائص نفسها. وأثناء محاكمات نورمبرج، كان الزعماء النازيون يؤكدون، الواحد تلو الآخر، أن الموقف النازي من اليهود تمت صياغته من خلال الأدبيات الصهيونية، خصوصاً كتابات بوبر عن الدم والتربة.

وقد أشار ألفريد روزنبرج، أهم المنظرين النازيين، إلىٰ أن بوبر علىٰ وجه الخصوص هو الذي أعلن أن اليهود يجب أن يعودوا إلىٰ أرض آسيا، فهناك فقط يمكنهم العثور علىٰ جذور الدم اليهودي الذي يسعون إليه ولعله – بهذا – كان يشير إلىٰ حديث بوبر عن اليهود باعتبارهم آسيويين حيث يقول:

لأنهم إذا كانوا قد طُردوا من فلسطين، ففلسطين لم تُطرد منهم. ومن الموضوعات الأساسية المشتركة فكرة النقاء العرْقي وكان المُنظر النازي **ستريخر** يؤكد أثناء محاكمته، أنه تعلم هذه الفكرة من النبي عزرا: لقد أكدت دائماً حقيقة أن اليهود يجب أن يكونوا النموذج الذي يجب أن تحذو كل الأجناس حذوه، فلقد خلقوا قانوناً عنصرياً لأنفسهم، قانون موسىٰ الذي يقول: «**إذا دخلت بلداً أجنبياً فلا تتزوج من نساء أجنبيات**».

وكانت الأدبيات الصهيونية الخاصة بنقاء اليهود العرْقي ثرية إلىٰ أقصىٰ حد في أوربا حتىٰ نهاية الثلاثينيات .ويستخدم النازيون والصهاينة علىٰ حد سواء الخطاب النيتشوي الداروينى نفسه المبني علىٰ تمجيد القوة وإسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة ـ شأنهم في هذا شأن النازيين ـ مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين وإنما عن «**تهجيرهم**» أو «**دمجهم في المجتمعات العربية**». وهم لا يتحدثون مطلقاً عن «**تفتيت العالم العربي**» وإنما عن «**المنطقة**»، ولا يتحدثون عن «الاستيلاء» علىٰ القدس وإنما عن «**توحيدها**» ولا عن الاستيلاء علىٰ فلسطين أو «**احتلالها**» وإنما عن «**استقلال**» إسرائيل أو عن «**عودة الشعب اليهودي**» إلىٰ أرض أجداده .

وكان للنازيين ما يشبه المنظمة النازية العالمية وكانت لها صلاحيات تشبه صلاحيات المنظمة الصهيونية العالمية، وكانت لها مكانة في ألمانيا تشبه من بعض الوجوه مكانة المنظمة الصهيونية في إسرائيل. وقد تعاون الألمان، في كل أنحاء العالم مع السفراء والقناصل الألمان، تماماً كما يتعاون اليهود والصهاينة مع سفراء وقناصل إسرائيل في بلادهم.

ولابد من ذكر الأصول الألمانية للزعماء الصهاينة الذين صاغوا الأطروحات الصهيونية الأساسية. تيودور هرتزل وماكس نوردو وألفريد نوسيج وأوتو وربورج كانوا إما من ألمانيا أو النمسا يكتبون بالألمانية ويتحدثون بها، كما كانوا ملمين بالتقاليد الحضارية الألمانية ويكنون لها الإعجاب ولا يكنون احتراماً كبيراً للحضارات السلافية. وقد غيَّر هرتزل اسمه من «بنيامين» إلىٰ «تيودور» حتىٰ يُؤَلِمن اسمه، وسمَّىٰ ماكس نوردو نفسه بهذا الاسم لإعجابه الشديد بالنورديين.

ومن جهة أخرىٰ، كانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولىٰ هي الألمانية، كما توجه الزعماء الصهاينة أول ما توجهوا لقيصر ألمانيا لكي يتبنىٰ المشروع الصهيوني.

وقد أكّد جولدمان أن هرتزل قد وصل إلىٰ فكرته القومية (العضوية) من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانيين. وكان كثير من المستوطنين الصهاينة يكنّون الإعجاب للنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها ولمُثُلها ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا. بل عدّوا النازية حركة تحرر وطني. وقد سجل حاييم كابلان، وهو صهيوني كان موجوداً في جيتو وارسو حينما كان تحت حكم النازي ، أنه لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدف إلىٰ الهجرة، وكلتاهما ترىٰ أن اليهود لا مكان لهم في الحضارات الأجنبية.

وقد ظهرت في ألمانيا، في الثلاثينيات، جماعة من المفكرين الدينيين اللوثريين الذين أدركوا العناصر الفكرية المشتركة بين النازية الصهيونية وأبعادها العدمية. ومن هؤلاء هاينريش فريك الذي حذّر اليهود من فكرة الشعب العضوي التي يدافع عنها

النازيون والصهاينة، وفي عام 1926، حدد فيلي ستارك ما تصوره موقف المسيحية من مسألة الشعب العضوي. فأشار إلىٰ نقط التشابه بين الصهيونية والنازية، فكلتاهما تدور حول قيمة مطلقة تحيطها القداسة الدينية، الدم والتربة، وقال: **هي قيمة تضرب بجذورها في المشاعر الأسطورية الكونية، وفي ممالك الأرض.**

النيتشوية والصهيونية

يظهر التأثر الكبير للنازية بالنيتشوية. وكان الخطاب الإمبريالي، منذ لحظة ظهوره في القرن السابع عشر، خطاباً نيتشوياً.

وكان يرفض مبدأ معاداة اليهود، بل إنه اعتبر معاداة اليهود مجرد شكل آخر من أشكال ثورة العبيد الحديثة ضد السادة. كما كان نيتشه معجباً بالعهد القديم وما يصوره أسلوبه غير الأخلاقي ووصاياه التي لا تتضمن أي تهاون أو مساومة. وفي كثير من كتاباته، نجده يكيل المديح لليهود أكثر من الألمان، فيقول: **اليهود عنصر قوي يتمتع بالصحة، وتدل صلابتهم وإبداعهم علىٰ مقدرتهم علىٰ القيام بعملية إعادة تقييم القيم.** ويُبيِّن أحاد هعام وهو أهم منظّر يهودي للنيتشوية أن المقولة الأساسية النيتشوية، الخاصة بتفوق النموذج الإنساني الأعلىٰ علىٰ بقية البشر، هي نفسها مقولة يهودية. وإن وصف أحاد هعام للأمة المختارة هو ذاته وصف نيتشه للإنسان الأعلىٰ. ويميِّز أحاد هعام بين ما يسميه وحش نيتشه القوي المُدافع عن الجسد وبين الإنسان الأعلىٰ اليهودي الذي يُدافع عن القيم اليهودية، ونلاحظ أن أحاد هعام لا يعترض علىٰ بنية النيتشوية التي تستند إلىٰ التفاوت بين الناس وإنما علىٰ مضمونها وحسب. وحديثه عن الأخلاق اليهودية لا يُغيِّر من البنية في شيء، فالنيتشوية اليهودية مبنية علىٰ فكرة تفوق اليهود وتعاليهم علىٰ البشر، وهو الأمر الذي يميزهم بحقوق مطلقة، من بينها - علىٰ سبيل المثال - حقهم في أن يعودوا إلىٰ الأرض المقدَّسة متىٰ شاءوا ذلك، وأن يؤسسوا فيها مركزاً روحياً إن أرادوا، وأن يستوطنوها ويعمروها أو يخربوها حسبما تملي مشيئتهم، باعتبارهم الأمة العظيمة أو الأمة الأعلىٰ. وقد تأثر كثير

من المفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية (خصوصاً الصهاينة منهم) بالفكر النيتشوي. ومن بين هؤلاء مؤسسو الحركة الصهيونية: تيودور هرتزل والفريد نوسيج وماكس نوردو، وكلهم ذوو ثقافة ألمانية، كما تأثر بها مفكرون صهاينة آخرون، مثل: ميخا بيرديشفكي وحاييم برنر وشاؤول تشرنحوفسكي .

ولا يمكن فهم كتابات أهم الفلاسفة الدينيين اليهود المحدثين مثل مارتن بوبر إلَّا من خلال نيتشه (وكذا كتابات ليو شستوف). وتسري القاعدة نفسها على مفكري مدرسة لاهوت موت الإله. كما أن البُعد النيتشوي في الفكر الصهيوني بُعد أساسي. فالجميع هم أبناء عصرهم العلماني الإمبريالي الأداتي الشامل. ولكل هذا، فليس من قبيل الصدفة أن يكون التشابه بين الصهيونية والنيتشوية مدهشاً حقاً، ويمكننا أن نوجز ذلك في النقاط التالية:

- النيتشوية، والصهيونية، ديانة ملحدة أو حلولية.

- النيتشوية، والصهيونية، تعبير عن تقديس الذات حينما يحل المطلق في الإنسان ويصبح كامناً فيه.

- الحياة بالنسبة للنيتشوية توسع ونمو واستيلاء على الآخر وهزيمة له، ومعاداة للفكر واحتقار له، وهذا مانراه في أعمال الصهاينة.

- وداخل هذه المنظومة ينقسم العالم وبحدة إلى السوبرمان والسبرمان، يتحدث نيتشه في كتاباته (دائماً) عن الماضي والمستقبل، ولا يركز على الحاضر أبداً . والصهاينة لا يتحدثون عادةً إلَّا عن الماضي العبري والمستقبل الصهيوني.

المجالس اليهودية

وهي مجالس كان يقيمها النازيون بين الجماعات اليهودية التي تقع تحت سلطتهم. وكان النازيون يحاولون، قدر المستطاع، أن يضمّوا إلى هذه المجالس العناصر الصهيونية أو اليهودية القومية باعتبارها عناصر حديثة تشاركهم الرؤية في أن

أوربا ليست وطن اليهود، وأنه يجب إخلاؤها منهم، وأن كفاح اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً يجب أن ينصرف إلىٰ الهجرة لا إلىٰ المقاومة والثورة. وقد نجحت هذه المجالس في إدارة أمور الجماعات وكان كثير من الصهاينة أعضاء في هذه المجالس، بل يُقال: إن النازيين كانوا يفضّلون الصهاينة علىٰ غيرهم من اليهود بسبب اتفاق الفريقين في المنطلقات الفكرية بينهما .

وتُثير المجالس اليهودية تساؤلات كثيرة عن لبّ التعاون بين الصهاينة والنازيين. فقد كان هذا التعاون علاقة تعني قدراً من المشاركة، وأنها اتفاق إرادي حر بين فريقين. إذ أن ذلك التعاون ينفي تماماً أي وجود للإبادة، إذ لم يكن لها مكان في تلك المنظومة وبالتالي تسقط كافة المزاعم الصهيونية أو أن يقول لنا الصهاينة بأنهم كانوا يشاركون في الإبادة وهذا مستحيل.

فقد كان اليهود ينقلون بالقطارات إلىٰ معسكرات الاعتقال النازي وكان بإمكان الآلاف منهم أن يتمردوا علىٰ أوامر النقل وأوامر السخرة ويشكلون أزمة داخلية كبيرة في ألمانيا التي تحارب علىٰ كافة الجبهات، وإن عدم وجود أية مقاومة يهودية علىٰ الإطلاق يعني عدم وجود إبادة.

مستوطنة تريزين

تريزين مدينة في تشيكوسلوفاكيا السابقة حوَّلها النازيون إلىٰ مستوطنة يهودية نموذجية بين عامي 1941 و1945. رُحِّل إليها حوالي 150 ألف يهودي من يهود وسط أوربا وغربها من المتميِّزين أو المسنين أو اليهود من أبناء الزيجات المختلطة. وقد أيد زعماء الجماعة اليهودية في تشيكوسلوفاكيا الخطة، باعتبار أن هذا يعني بقاء يهود تشيكوسلوفاكيا في وطنهم. وباعتبارها مثالاً علىٰ «**حياة اليهود الجديدة تحت حماية الرايخ الثالث**» وإن نظام هذه المستوطنة بل ووجودها كله يدّل علىٰ التعاون الوثيق بين النازية والصهيونية وينفي وجود أية إبادة أو مشروع إبادي.وتعترف المصادر اليهودية

بكافة الميزات التي كانت تمنح لليهود، وتذكر الموسوعة اليهودية هذه المستوطنة وغيرها وتعتبرها دليلاً علىٰ التعاون الوثيق مع النازية.

فقد أدار المستوطنة مجلس من الكبراء يضم القادة اليهود ويترأسه أحد كبراء اليهود، وكانت تعيّنه السلطات الألمانية. وتمتعت المستوطنة بحريات كثيرة، حيث كان لها نظامها التعليمي ونظامها البريدي المستقل ومكتباتها وهويتها الثقافية. ومن ثم، كان من مسؤوليات مجلس الكبراء الحفاظ علىٰ النظام في المستوطنة وتوزيع العمل فيها وتوطين المستوطنين الجدد والعناية بالصحة وبالمسنين والأطفال والإشراف علىٰ النشاط الثقافي. كما كان يتبع المستوطنة نظام قضائي مستقل، وقد سمحت السلطات النازية لسلطات الصليب الأحمر بزيارة المستوطنة وبالاجتماع بمجلس الكبراء.

ولا تختلف علاقة المستوطنة بالسلطات النازية عن علاقة الحكومة الأفغانية بالأمريكيين المحتلين بالقوة الإمبريالية، والحريات التي كان يتمتع بها سكان المستوطنة لا تزيد كثيراً عن تلك التي تعرضها الحكومة الصهيونية علىٰ سكان الضفة الغربية باسم الحكم الذاتي، وهذا دليل علىٰ أن التجربة النازية ليست إلّا جزءاً لا يتجزأ من الخبرة السياسية الصهيونية.

جيتو وارسو

من أهم الجيتوات جيتو وارسو الذي بلغ عدد القاطنين فيه عام 1941 حوالي نصف مليون يهودي يعيشون في رقعة صغيرة يحيطها جدار يشبه تماماً الجدار الذي بدأ أريل شارون ببنائه ليفصل الفلسطينيين عن الصهاينة. وكان للمدينة اثنان وعشرون مدخلاً يقف علىٰ كلٍّ منها ثلاثة جنود، أحدهم ألماني والثاني بولندي مسيحي والثالث بولندي يهودي. وهنا يتوجب علينا أن نذكر بأن مداخل ومعابر السلطة الفلسطينية يقوم بحراستها جنود مشتركون فلسطينيون وصهاينة. وكان التعريف الذي تبناه الألمان للهوية اليهودية هو تعريف قوانين نورنبيرغ وهو أن اليهودي يهودي

بالمولد وليس بالعقيدة (وهو التعريف الذي تبنته فيما بعد دولة إسرائيل والذي يستند إليه قانون العودة الصهيوني أيضاً). ويجب النظر إلىٰ تجربة (الجيتو) هذه في ضوء المخطط النازي ذي الطابع الصهيوني الواضح الذي ينطلق من تصور استقلال اليهود كشعب عضوي منبوذ له شخصيته القومية المستقلة. ولذا كان (للجيتو) مؤسساته المستقلة الخاصة به (عملة خاصة ـ وسائل نقل خاصة ـ خدمة بريدية ـ مؤسسات الرفاه الاجتماعي). كما سُمح (لجيتو) وارسو بأن يكون له نظامه التعليمي، وبأن يفتح المكتبات لبيع الكتب واستعارتها، وبأن يصدر جريدته اليومية بل كان له ميليشيا ومحاكم خاصة به، أي أن (الجيتو) كان بمثابة دولة صغيرة منعزلة ثقافياً واقتصادياً عما حولها، وكان يدير الدويلة (الجيتو) سلطة يهودية أو مجلس كبراء، تُعيِّن السلطات النازية أعضاءه. ولكن استقلالية الدويلة (الجيتو) لم تكن كاملة، إذ كان الجيتو يقوم باستيراد كل المواد الخام والطعام والملابس التي يحتاجها من سلطة الاحتلال النازية علىٰ أن يسدد ثمن الواردات بالمنتجات الصناعية (الملابس والمصنوعات الجلدية) التي كان ينتجها (الجيتو). كما كان علىٰ المجلس أن يقدم عدداً من العمال يومياً يبيعون عملهم لتسديد واردات (الجيتو). وكانت علاقة الدولة النازية بدويلة (جيتو) وارسو علاقة كولونيالية لا تختلف كثيراً عن علاقة إنجلترا بمستعمراتها أو علاقة الدولة الصهيونية بالسلطة الفلسطينية.

مؤتمر المحرقة في طهران

في مؤتمر المحرقة الذي عقد في طهران بنهاية العام 2006 افتتح المؤتمر الرئيس الإيراني بكلمة مدوية، وعاب علىٰ الباحثين العرب النأي بأنفسهم عن نكران المحرقة.

ولوحظ في المؤتمر بأن أغلب الباحثين والمفكرين العرب كانوا يقرون بحدوث الإبادة ويستنكرون العدوان الصهيوني، ويعتقدون أن الصراع العربي الإسرائيلي هو السبب الذي يدفع البعض لنكران المحرقة. وكانوا ينأون بأنفسهم عن المراجعة التاريخية وعن دراسة الأبحاث المتعلقة بالمحرقة.

وقال فخري صالح بيلد : إن الحالة في فلسطين اليوم لها تأثير قوي علىٰ نظرة الناس إلىٰ المحرقة في العالم العربي .

وقال مهدي عاكف مندوب للإخوان المسلمين بمصر: إنه لابد لنا من طرح السؤال حول المحرقة والتساؤل إذا قتل النازيون ستة ملايين يهودي. وفي زيارته الأخيرة لطهران عبّر خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عن شكره وامتنانه لطهران وللرئيس الإيراني في عقد مؤتمر المحرقة ذلك حيث إنه أعلن تضامنه مع أحمدي نجاد.

فيما أعلن اثنان من القادة الإسلاميين في العالم العربي عن ضرورة البحث في تاريخ المحرقة قبل الإعلان عن نكرانها. وأكّد هؤلاء بأن الصراع العربي الإسرائيلي والهزائم الحربية مع إسرائيل هي التي دعت البعض لنكران المحرقة. وأن هذه ليست سوىٰ حالة معقدة يتم فيها خلط السياسة والتاريخ والهدف منها نكران هزيمة الذات مع رفض الظلم الذي تحقق علىٰ أيدي العدو الصهيوني.

وأكّد إبراهيم الويش أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأردنية نكرانه للمحرقة وهو يعتمد في إنكار المحرقة علىٰ أعمال المراجعة في التاريخ. دون محاولة البحث في الحقائق وأنه بعيد عن أعمال «المؤرخون» في أوروبا وأمريكا. كما واعتمد في بحثه علىٰ الأرقام إذ قارن بين أرقام ضحايا الحرب من الأوروبيين وبين أرقام الضحايا اليهود. ووزّع علىٰ الحضور كتيّباً صغيراً بعنوان أكذوبة إبادة ستة ملايين يهودي. وكانت كافة الأبحاث التي قدمها العرب تعتمد علىٰ أبحاث الأوروبيين والأمريكيين ولم يأتوا بجديد.وهؤلاء الحضور العرب هم إدوارد سعيد ومحمود درويش والسوري أدونيس، واللبناني إلياس خوري والفلسطيني إلياس صنبر ، والمغربي محمد بارادا. إذ عملوا في المادة التراكمية الأوروبية التي اشتغل فيها الأوروبيون طوال عدة عقود. وأيّد الدكتور عبد الوهاب المسيري حدوث الإبادة وهو أستاذ الأدب الإنكليزي من مصر الذي كان يعمل لسنوات في الأمم المتحدة، وهو الذي كرّس حياته لدراسة التاريخ والأدب ، لكنه

اتهم الصهاينة باحتكار دور الضحية ، ولابد لنا من أن نشكره علىٰ ذلك. وقال بأن هتلر أباد الغجر إضافة إلىٰ اليهود. والمهم بالنسبة له هو أن هذا القتل البشع والإبادة النازية لليهود لا يمكن إنكارها علىٰ خلفية الكفاح ضد العدوان الإسرائيلي في فلسطين. وفي ختام بحثه دعا إلىٰ إحلال السلام مع اليهود. وإنهاء احتلال الضفة الغربية وإقامة دولة فلسطينية. وتمخّض المؤتمر عن إقامة المؤسسة الدولية الدائمة لدراسة الهولوكوست والتي تتوزع فروعها في دول عالمية عديدة ومنها سورية واليها ينتمي مؤلف هذا الكتاب، وأمل المؤتمرون بأن ينقل مركزها ليصبح دائماً في ألمانيا حين تسمح الظروف بذلك. وتحدث الأوسترالي فريدريك توين عن صدور أمر باعتقاله حين عودته إلىٰ بلده، وقال: «**سأعود لأواجههم بالحقيقة وأتحداهم هناك**».

صحفي سوري يعترف بالإبادة :

حضر الدكتور غازي حسين من سورية مؤتمر طهران المخصص لدراسة المحرقة وبعد عودته أدرج مقالاً صحفياً بعنوان المتاجرة بالهولوكوست صناعة صهيونية ، (52) وقال: «.تحدّت طهران الانتقادات الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية وعقدت المؤتمر العلمي لدراسة الهولوكوست... وجسّد عقد هذا المؤتمر اتجاهاً قوياً في الفكر العربي والإسلامي والعالمي ينادي بالتخلص من الاستمرار باستغلال معزوفة الهولوكوست».

ثم يعترف بحصول الإبادة ويقول: «ومن المعروف تاريخياً أن الإبادة النازية والتي تعدّ من أكبر الجرائم ضدّ الإنسانية، والتي أطلقت عليها الصهيونية [المحرقة] أي الهولوكوست ..» ويقول أيضاً: «وقعت الإبادة النازية التي نستنكرها ونعتبرها جريمة ضد البشرية جمعاء في أوروبا وارتكبها أوروبيون ضد أوروبيين معادين للنازية من ألمان وأوروبيين يهود وغير صهاينة (يؤمنون بالاندماج) وغجر وقتل فيها 54 مليوناً من الشعوب الأوروبية» «إن الصهيونية لم تكن مهتمة بإنقاذ جميع اليهود من معسكرات الاعتقال، وإنما كانت مهتمة فقط بإنقاذ الصهاينة شبان وشابات...».

الأساطير الصهيونية الجديدة

لم تتوقف الصهيونية عن نشر أساطيرها في العالم الحديث يوماً من الأيام. بل استمرّت تحارب كافة القيم والظواهر الدينية المرتبطة بالسياسة المهددة لها بطريقة متكررة وهي ابتداع الأسطورة الجديدة. وتتوضح العلاقة بين السياسة والأساطير في الحروب والمشاريع التي تقوم بها الصهيونية والولايات المتحدة.فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وظهور الخميني كعدو للولايات المتحدة وإسرائيل، ظهرت رواية البريطاني سلمان رشدي، والتي تحمل سمة الأسطورة الصهيونية المعادية للإسلام كله ولرسوله الكريم ولرسالته وللإمام الخميني نفسه، الذي جعله الكاتب أحد الشخصيات في روايته. وإن غزو العراق وأفغانستان جاء علىٰ اتهامات ذات طابع أسطوري، فقد اتهم العراق بسعيه لتدمير إسرائيل وأوروبا بالسلاح الفتاك المتنوع، وتم تكبير قدرات العراق وتهويلها بشكل أسطوري واضح.

فالغزو الأمريكي الذي قام في الأصل علي سلسلة من الأساطير، هو نموذج فريد في الاستعمار الجديد حيث تتلازم السياسة مع الأسطورة، ويصبح كل شيء خاضعاً لمنطق شاذ لا سبيل إلىٰ تفكيك مقولاته. ومع الغزو الأمريكي للعراق واتساع نفوذ الصهيونية والاستخبارات الأمريكية التي تسعىٰ لتخريب العقل الإسلامي، لوحظ انتشار مفاهيم جديدة وإعلام قوي يغذيها، وكلها تتمحور حول الأسطورة المبتدعة. فالفضائيات الخاصة التي تحمل ظاهرياً هوية المذهب السني والصوفي انشغلت بنشر مقولات وعقائد الطب الشعبي والعلاج بالأشعار والتسابيح والأدعية والمقولات، وهي تقوم ببرنامج يقضي لإبعاد المسلم عن أفكار دينه العظيم وانشغاله بأساطير لا تمتّ للإسلام بأية صلة.

واستطاعت الصهيونية أيضاً أن تغزو الفكر الشيعي ، وبحجّة تعظيم شعائرهم الدينية وزياراتهم للحسينيات قامت بجعل تلك الشعائر هدفاً ومنحتها صفة الإسلام الكامل، في وقت هي في حقيقتها ليست من مظاهر الإسلام كله، فتخصصت فضائيات

مدعومة أمريكياً وصهيونياً ببث ساعات طويلة في كل يوم من مشاهد اللطم والأناشيد الحزينة . وبذلك يتمّ التركيز على هذا الجانب الظاهري وجعله موضوع الإسلام كله. ومما لاشكّ فيه أنّ الشيعة لا يقبلون بذلك الإعلام، فليست كل قضيتهم الإسلامية تنحصر في تلك الطقوس والمناحات، بل إنّ هذه المناحات تأخذ من أوقاتهم عدة ساعات في السنة كلها.ونلاحظ أن الإعلام الإيراني وما يتبع له لا يختصّ بتلك المناحات ولا يوليها أهمية تذكر. مما يدل على أن هذه الظاهرة الإعلامية الأسطورية ليست من الشيعة وإنما هي إعلام صهيوني موجه ضد الإسلام والمسلمين.

ولم تقف الصهيونية عند هذا الحدّ بل تعمدت نشر الفكر الأسطوري بشكل واسع في المسيحية واليهودية الغربية. لتستفيد منها في سياستها العدوانية ضد العرب والمسلمين.

إنهم في تلك الأوساط يريدون ربط الشرق والإسلام بالعقل الأسطوري الخرافي، ويمارسون ضغوطاً على المسلمين لجعلهم أسطوريين بعيدين عن العلمانية الحديثة، وعن العقل الصناعي والفكري المتقدم. ويصيغون برامج كبيرة وقع بعض المسلمين في مستنقعاتها بالفعل. وهنا تبرز ضرورة تصدي المسلمين جميعاً للأسطورة الصهيونية بكل صورها. وفتح جبهات جديدة لمقاومتها. ولن يتم ذلك بالطبع إلّا من خلال وعي كبير بتلك الأساطير وبتسخير وسائل فكرية ومادية وإعلامية لأجل محاربتها.فالأسطورة الصهيونية تسري اليوم في أذهان قسم من المسلمين دون الوعي بمصدرها. وما الاقتتال السني الشيعي في العراق إلّا أحد صورها.

وفي الأشهر الأخيرة عرضت في مسارح الغرب مسرحية بعنوان (ماركس في سوهو). لمؤلفها «هوارد زين» وهي تكشف سرّ استخدام الأمريكيين للأسطورة الصهيونية،في حربهم ضد العراق والبلاد الإسلامية.

تخيّل المؤلف عودة ماركس إلي الحياة، ثم تصوّره وهو يتجوّل في نيويورك ويشاهد بنفسه كل ما فعلته الرأسمالية التي بنىٰ فلسفته علىٰ أساس نقدها وتشريحها.

ومن بين أكثر المشاهد إثارة وتشويقاً في المسرحية تلك التي نرىٰ فيها الفيلسوف الثوري يتبختر في شوارع نيويورك، المدينة الأكثر أبّهة وثراء في التاريخ البشري؛ بينما الجدل يحتدم في مقاهيها وأزقتها وخمّاراتها، كما احتدم في كل شوارع العالم ومنتدياته حول مصير أفكاره وتأملاته الفلسفية.

ويقول ماركس في ختام تجواله وبعبارات ساخرة مخاطباً الفقراء والمعدمين: (إن منْ وعدوكم بانتظار عودة المسيح إنما كانوا يواصلون خداعكم .أيها السادة. لقد عدت للتو ـ من العالم الآخر ـ واكتشفت بنفسي أن المسيح غير مستعد للعودة إلىٰ الأرض). ماركس الذي خرج من جلباب الفيلسوف، وتنكر في هيئة فارس محارب من أجل قتال المشعوذين بسلاح التهكم لا بسلاح الفلسفة؛ هو أيضا ماركس الحقيقي نفسه. لقد خرج من جديد إلىٰ ساحة حرب أخرىٰ، ليقاتل أو يحرّض الثوريين علىٰ مواجهة الدور الذي تلعبه الصهيونية داخل حقل السياسة في قلب عاصمة الرأسمال العالمي، لا من أجل دحر أساطيرها ؛ بل ومن أجل حرمان رجال الدين المسيحيين جزئياً، من إمكانية استخدام الأساطير كأداة للتلاعب بالجموع البشرية

ومع ذلك كان هناك ماركس آخر شيعي يتجول في بغداد، وكانت أطيافه تحوم في شارع المتنبي في اللحظة ذاتها التي سقطت فيها العاصمة التاريخية في قبضة الأمريكيين؛ ولكنه بخلاف ماركس حي سوهو في قلب لندن، وبخلاف ماركس نيويورك، ماركس مزيف لا يزعق محذراً الجياع والكادحين والفقراء من خداع وغش بعض رجال الدين كما في المسرحية؛ بل يشارك هؤلاء إيمانهم بعقيدة انتظار المخلص.. لقد تراءت أطياف ماركس المزيف هذا، في اللحظة التي وضع فيها شيوعيون عراقيون عادوا من المنفىٰ مع قوات الغزو لافتة عملاقة وسط شارع المتنبي ببغداد يخاطبون فيها بصورة مباشرة لا لبس فيها، المهدي المنتظر شخصياً، وتتضمن عبارات عزاء باستشهاد الحسين بن علي. ونلاحظ تركيز النص المسرحي علىٰ إصرار ماركس علىٰ إبقاء الأساطير في بغداد ومحاربتها في نيويورك ولندن.

لماذا تـتراءىٰ الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في نظـر مؤلـف مـسرحي معـاصر، لا وصفها أكبر قوة منتجة للتقـدم في التـاريخ؛وإنما كـذلك كـأكبر خـزّان للأسـاطير الحديثة؟ لا ريب أن المؤلف كان يلاحـظ، كيـف أن أعظـم قـوة في العـالم، هـي التـي أصبحت أكبر منتج ومصدّر للأساطير. وأشبه ما تكون بخزّان هائل تعتمل في أعماقـه طاقة مذهلة وغير مسبوقة علىٰ إعادة إنتاج الميثولوجيا القديمـة، وبحيـث يـصبح مـن واجب ماركس المُتخيّل ـ كفيلسوف يعود من الآخرة بعد أن التقىٰ المسيح وأخبره أنه لن يعود ـ أن يطلق نبوءته بقوة، ويزعق في شوارع نيويـورك قـائلاً ومـن دون تحفـظ: لا تنتظروا المسيح المخلص ولا المهدي المنتظر فإنه لن يعود! بالطبع لم يُقـيض لمـاركس الحقيقي أن يرىٰ بأم عينه التقدم الهائل لوسائل الإعلام، ولا رؤيـة أشـكال الاتـصال الجماهيري المتطورة في الولايات المتحدة الأمريكيـة والعـالم، ولا معرفـة قـدرتها عـلىٰ تشكيل وعي مجتمعات بأكملها لهويتها؛ وربما تشكيل وتوحيـد رأي جماعـات وأفـراد متفاوتين أو متناقضين في الثقافة والمصالح، حول كـل وأي حـدث مهـما كـان تافهـاً؛ وبالتالي تعاظم قدرات العاملين في ماكينة الإعلام علىٰ فـرض الـسيطرة المطلقـة عـلىٰ شعوب ومجتمعات خارج العالم الرأسمالي، من خلال صـنع أسـاطير سياسـية حديثـة ومعاصرة، أو من خلال إعـادة إنتـاج ميثولوجيـا قديمـة تخطـىٰ التطـور الاجتماعـي والعلمي في الغرب سقوفها التقليدية، ولم تعد حيّة أو قـادرة عـلىٰ التـأثير فيـه بالقـدر نفسه كما كان الحال في الماضي البعيد. ومع ذلك؛ فإن ماركس المُتخيّل هذا، يستطيع أن يرىٰ بنفسه وهو يتجول في نيويورك، كيف أن الرأسمالية التـي تركهـا في المهـد، ومـن حيث لم يتوقع أو يتكهن بقدراتها؛ قد أضحت الآن قوة هائلة منتجة للأساطير.

إن أساطير معركة (هر ـ مجدو) التي تنتشر اليوم في الولايات المتحـدة وأوروبـا، مع صدور عشرات الكتب والبحوث والدراسات والقصص، مثيرة ومشوقة بالفعـل لأنها تعد المجتمعات الغربية المعاصرة، بأن ساعة الخلاص الجماعي قد حانـت وذلـك عندما تنتصر إسرائيل علىٰ الأعداء، الذين سوف يتجمعون عند سفح جبل مجدو.

ما يجمع نيويورك ببغداد، ومن دون وجود رابط منطقي في الجغرافيا أو الثقافة التي من ضمنها الدين، هو أن هاتين المدينتين كانتا علىٰ امتداد سنوات في حالة تجابه عنيف ودموي جسدته حرب كبرىٰ؛ امتزجت في تدميره وفي استخدام الذخائر القذرة المحرّمة والأساطير الصهيونية الخبيثة التي تنتجها وسائل الإعلام، وتمتزج فيها قدرة السارد علي الخداع مع قدرة النصوص نفسها علىٰ إغراء المتلقي وخداعه.

بهذا المعنىٰ ستبدو الحرب علىٰ العراق، من هذا المنظور، وكأنها حرب مزودة بتقنيات سردية تتضمن كل ما يلزم من التلاعب بالمتلقي وتشكيل وعيه للعالم والأحداث.

هذا صحيح، فقد استخدمت الصهيونية تقنيات السرد ذاتها في أساطير المحرقة، ونعتقد أنها ستبقىٰ تستخدمها في مشاريعها الكبيرة حتىٰ تنكشف للبشرية كلها مقاصدها. ومن هنا يظهر أهمية دورنا جميعاً في الكشف عنها.

لقد كان غزو العراق، بحق، نموذجاً ساطعاً علىٰ قوة استخدام الأساطير الجديدة. ولكن المدينتين، نيويورك وبغداد، كانتا في الآن ذاته في قلب لحظة توافق وتماثل لا سابق له داخل حقل الأساطير، وذلك حين كشفت الأحداث والظروف كذلك، أنهما كانتا بانتظار المخلص نفسه الذي سوف يتجلىٰ في حالتين مفارقتين: المسيح المنتظر والمخلّص، والمهدي المنتظر. وبينما كانت نيويورك تنتظر مسيحها المخلص (كما يخبرنا هوراد زين) كانت بغداد تتأهب لاستقبال المهدي المنتظر. وإن اختيار شخصية ماركس اليهودي الأصل والمتحرر من اليهودية والمعادي للصهيونية. هذا الاختيار يلمّح للدور الصهيوني الذي اكتشفه ماركس في إدارة اللعبة الأساطيرية. والذي كان ماركس الحقيقي يعاديه ويعمل علىٰ إزالته، لكنه عاد في ظهوره بعد الموت ليجد الصهيونية تمرح في أضاليلها الأسطورية، وهذه الأساطير تبرهن، علىٰ أنها موظفة لأغراض لا حصر لها. فقد استخدمت الصهيونية أساطير الإبادة ونشرتها عالمياً حين كان مشروعها الكبير يتجلىٰ بقيام دولة إسرائيل علىٰ أساس اغتصاب فلسطين، أي أن حدثاً خطيراً ومشروعاً صهيونياً كبيراً رافق تلك الأساطير آنذاك،

فهل تحضّر الصهيونية إلىٰ مشروع خطير وتحضّر له بالأساطير الجديد؟.

إن الأساطير التي صاحبت وتلازمت مع الغزو الأمريكي، هي التي تكشف علىٰ أكمل وجه، مغزىٰ الترابط بين الميثولوجيا والسياسة في العالم الغربي المعاصر وتكشف بالوقت نفسه علىٰ قدرة الصهيونية علىٰ نشر هذه الأساطير في الغرب والتحكّم بعقولهم بواسطتها. ورغم ذلك كله فمازال الاعتقاد السائد في الغرب يقول: إن المسلمين هم الذين ينتجون الأساطير وإن تفكيرهم لا يقترب من العلمانية الحديثة بسبب ميوله للأسطورة الشرقية.

علىٰ هذا النحو يمكن لنا أن ننظر إلىٰ المعنىٰ الحقيقي لتخيّل الفيلسوف في تأملاته الحزينة، ساخطاً وغاضباً من سلوك مدينته الغربية. هذه التي ارتبطت في مخيلته بالأبهة والثراء الرأسمالي والعلمانية وقد أضحت، ورغم كل التقدم العلمي الهائل الذي أحرزته، نهباً لسطوة أسطورة عن عودة المسيح، بينما يمكن لنا في الآن ذاته، رؤية الرمزية الساطعة للافتة التي رفعت في شارع المتنبي حيث تصبح بغداد مثل نيويورك، تحت سطوة الأسطورة القديمة نفسها. الفارق الوحيد أن العراقيين بفضل ماركس الشيعي استبدلوا المسيح بالمهدي المنتظر. ويرمز المؤلف أيضاً إلىٰ ظهور مخلّص ثالث علىٰ الساحة العالمية وهو ماركس نفسه الذي إنما ظهر ليخلّص العالم من أضاليل الصهيونية لطالما حاول ذلك في حياته الحقيقية.

لم يكن ذلك الخروج الجماعي المهيب للعراقيين الشيعة، في مواكب العزاء والحزن الجماعي لحظة سقوط بغداد، خروجاً بدافع الاحتجاج أو الغضب علىٰ الاحتلال؛ بل بدافع إحياء ذكرىٰ المخلّص الذي عاشوا بأمل رؤية عودته إلىٰ الأرض. كانوا هم أيضاً في تلك اللحظات العصيبة، بانتظار يسوع آخر شبيه ومماثل بيسوع نيويورك أو سوهو، ولكن من دون أن يتسنىٰ لماركس الإصغاء لوقع خطاه علىٰ طريق الجُلجلة وهو يجوب الشوارع الخلفية. وإنّ ما حدث فعلاً في رأي المؤلف هو ظهور ماركس نفسه الذي بدا علىٰ المسرح بصورته وصوته.. لكن مسيح نيويورك ومهدي بغداد لم يظهرا علىٰ خشبة المسرح.

إن للرموز الأسطورية سلطة علىٰ الجماهير قد تتفوق أي سلطة أخرىٰ؛ وسواء أكان المجتمع متحضراً (علمانياً ومتقدماً) أم كان يحث الخطىٰ علىٰ طريق الانتقال من التخلف إلىٰ المدنية؛ فإن سطوة الرموز تظل قادرة علىٰ الاحتفاظ بقوتها وزخمها ومن دون أي تبدل تقريباً. إن تحليل نموذج العلاقة بين السياسة والأساطير كما تبيّن في التجربة العراقية؛ وهي من هذا المنظور أول تجربة لاختبار نتائج أكبر احتكاك عنيف بين الولايات المتحدة والشرق، واستخدم فيه الحد الأقصىٰ من القسوة، سوف يبيّن وبوضوح كيف أن الغرب العقلاني وبوعي تام لكل فعل قام ويقوم به، تولىٰ بنفسه تحطيم العقلانية والعلمانية، والحداثة التي نادىٰ بها، وأنه هو نفسه من سعىٰ إلىٰ تدمير أي شكل مهما كان بسيطاً لعلمانية محتملة في المجتمع الشرقي؛ بل وقام بتهشيم أسسها وقذف ببلدٍ عُرف بمكانة الأفكار العلمانية المتميزة فيه؛ إلىٰ قلب العالم السحيق للأساطير بعد عقود من اعتناقه لعلمانية الغرب ذاته، وبعد سنوات شاقة من محاكاة قوانينه الناظمة وثقافته السياسية. وكان الغزو الأمريكي للعراق من هذا المنظور، أول وأضخم تجربة للغرب لاختبار النتائج التي يمكن أن يسفر عنها تدمير منظم للعلمانية في بلد إسلامي. وقد أفضت هذه العلمانية فعلياً ومن حيث فوجئ الغرب نفسه، إلىٰ تصعيد فعالية الدولة الوطنية وتعاظم قدرتها علىٰ تنشيط الميول في مجتمعها لامتلاك القوة والمعرفة، أو تنشيط محاولات الاستحواذ علىٰ التكنولوجيا وردم الهوة مع الغرب؛ وذلك ما يعبر عنه بدقة طموح العراق إلىٰ امتلاك برنامج علمي نووي، يؤهله للدخول في منتدىٰ الدول الحديثة. إن الأهداف المعلنة للولايات المتحدة من غزو العراق، كمواجهة خطر أسلحة التدمير الشامل مثلاً؛ لتبدو منظورا إليها من هذه الزاوية، وإن منع إيران من امتلاك طاقة نووية لينظر اليها من هذا المنطلق أيضاً.وبصرف النظر عن سائر المبررات والذرائع والدوافع الأخرىٰ، ومن حيث درجة قوتها وتأثيرها في عمل وسائل الإعلام علىٰ الإفصاح عن البعد الحقيقي للغزو الذي لم يكن، في النهاية، سوىٰ تدمير منظم للعلمانية بكل تعبيراتها وأشكالها (بنىٰ تحتية، برامج علمية، علماء، جامعات ومختبرات متطورة ومعاهد دراسية، نخب حداثية) وبوسائل غاية في القسوة والبطش .

ففي محادثات جنيف بين نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز مع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي في شتاء 1991؛ عبّر بيكر دون تردد وأسمع العالم كله بصراحة قوله عن عزم بلاده علىٰ ضرب العراق بشدة وقسوة وإلىٰ الدرجة التي يعود فيها العراق إلي العصور الحجرية دفعة واحدة. إن فكرة إعادة بلد ما إلىٰ الوراء، أي إعادته إلىٰ طور ما قبل التاريخ، تكشف من بين ما تكشف عن الجذور الحقيقية للعلاقة بين الأساطير والسياسة في العالم المعاصر، بحيث تدخل الأساطير تلقائياً في نسيج السياسة الخارجية وتغدو جزءاً عضوياً من علاقات القوة، وبالنظر لخطورة سلاح الأساطير المرافق والملازم لأسلحة إسرائيل والولايات المتحدة، يصبح لزاماً علينا أن نحصّن أنفسنا من الأساطير بل ونحاربها حتىٰ نتمكّن من دفنها.

الخاتمة

إنّ كشف ما أمكن من أسرار العقيدة اليهودية وأساطيرها يجيب على كافة تساؤلاتنا المتعلقة بألغاز وخفايا أعمال اليهود اليومية.

لقد أدركنا أهمية رسوخ عقيدة الإبادة عند الصهاينة وبالوقت نفسه أدركنا خطر تلك الأكذوبة على شخصيتنا كعرب ومسلمين، وأننا نحن المستهدفين الرئيسين فيها بالدرجة الأولى. وهذا مايدعونا جميعاً إلى ضرورة تكذيب الأسطورة ودحضها في كل مكان وزمان، وإلى منع تسرّبها إلى العقل العربي والإسلامي . ومن هنا ندعو الإعلام العربي والإسلامي كله إلى دحض الأكذوبة باستمرار وإلى مراقبة الأفلام الوثائقية التي تشتريها الفضائيات مصنوعة وجاهزة في الدول الغربية. ففي هذا اليوم بالضبط 1 شباط 2007 عرضت فضائية الجزيرة الوثائقية برنامجاً بعنوان:

نورينبيرغ: وقفة غيرينغ الأخيرة – الجزء الأول. وإن هذا البرنامج يسوّق للأكذوبة ولأساطير الإبادة، ويجعل منها حقيقة تاريخية وذريعة لليهود الذين هم أعداؤنا الحقيقيون. وحينما نشاهد هذه البرامج في إعلامنا العربي نتألم كثيراً ونشعر بأهمية مانكتبه وبضرورة أن يصل بحثنا هذا إلى أكبر عدد من القراء .

وفي ختام هذا البحث تبيّن لنا بوضوح أنّ كافة أساطير الإبادة المزعومة لم تكن سوى صوراً توراتية وطقوساً وعقائد يهودية، وأن التطرف الديني الحقيقي الموجود في العالم كله يتمثل في أهمّ صوره عند اليهود أنفسهم. وأنّ التطرف اليهودي كان السبب في نشر أنواع من التدين المتزمت الذي يشبه التطرف في بعض الأوساط الإسلامية والذي يسمى بالتطرف الإسلامي.

المراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس – الطبعة العربية – حول العالم .
- محاربو إسرائيل – إيهانويل راتيه – ترجمة فوزي عبد الهادي – دار طلاس، دمشق 1996
- الاستخبارات السرية الإسرائيلية
- أريكا عميلة الموساد، ويليم ديتيل.
- مكان تحت الشمس، بنيامين ناثان ياهو – دار الجليل، الأردن.
- الأكذوبة التاريخية – روبير فوريسسون و ماري بول ميمي.
- موسوعة الحرب العالمية الثانية.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الدكتور عبد الوهاب المسيري
- الموسوعة اليهودية، جوديكا .
- محاضر وندوات مؤتمر طهران حول الهولوكوست.
- الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية، روجيه غارودي، ترجمة حافظ الجمالي – صياح الجهيم.
- أسفار موسىٰ الخمسة، الأب ديفو
- صراخ البريء أو فرنسا اليهودية، أدوارد داريمون
- الأطفال ولائم دموية علىٰ مائدة اليهود، سليمان البواب
- دم لفطير صهيون، نجيب كيالي، دمشق
- La Derniere guerre ، Enciclopedie ، paris ، france.
- Le point، N715 ، 2 Juin 1986.
- Le Nouvelle Observateur، N 1432 ، 16 Avril 1992 .
- Le Nouvelle Observateur،N 1387 ، 6 Juin 1991
- Le Nouvelle Observateur، N 1433 ، 23 Avril 1992.
- Le Nouvelle Observateur،N 1444 ، 15 Juillet 1992
- L Expresse ، N 2010 ، 19 Janvier 1990

الفهرس

النظرية الجديدة في فهم أساطير الإبادة 5

مكوّنات العقيدة الجديدة 7

النار المقدسة عند اليهود 16

أساطير الإبادة..... 33

الأسطورة الأولى 37

الأسطورة الثانية 51

الأسطورة الثالثة 60

الأسطورة الرابعة الهولوكوست 71

شريعة المحرقة وشريعة التقدمة..... 88

الأسطورة الخامسة صابون الشحم اليهودي..... 92

الأسطورة السادسة أسطورة تسميم الدم اليهودي..... 100

فلسفة الإبادة تسمم اليهود بديانة الهولوكوست..... 131

العصا الصهيونية المهاجمة رابطة الدفاع اليهودية 217

مصطلحات أدت إلى تشويه قيمة الإنسانية 242

تسميم العقل العالمي..... 269

تحالف اليهود مع النازية 278

الخاتمة..... 317

المراجع 318

الفهرس 319

صدر للمؤلف

- يهود ضد الصهيونية
- هل أحرق اليهود في أفران الغاز؟
- الدين والتطرف والإبادة
- ثقافة التطرف وموجة الطائفية

.....

عنوان المؤلف: 099775380 دمشق سورية

monomr@yahoo.com